جامعة الأزهر
كلية أصول الدين
والدعوة الإسلامية بالمنوفية

نظرات في تفسير
الشيخ أحمد حسن الباقورى

عرض ودراسة وتعليق

إعداد الدكتور

عاطف محمد الخولي

الأستاذ المساعد بقسم الدراسات الإسلامية بكلية العلوم والآداب بطبرجل - جامعة الجوف بالمملكة العربية السعودية
ومدرس التفسير وعلوم القرآن بكلية أصول الدين بالقاهرة
جامعة الأزهر

مستلة من

حولية كلية أصول الدين والدعوة بالمنوفية العدد الثامن والثلاثون،
لعام ١٤٤٠هـ/٢٠١٩م والمودعة بدار الكتب تحت رقم ٢٠١٩/٦١٥٧
والترقيم الدولي I.S.S.N ٢٦٣٦-٢٤٨١

دار الأندلس للطباعة-أمام كلية الهندسة-عمارات الزراعيين-شبين الكوم ت ٠٤٨٢٢٢٢٠٩٠

ملخص البحث

نظرات في تفسير الشيخ أحمد حسن الباقورى

عرض ودراسة وتعليق

عشت من خلال هذا البحث مع شخصية هي من الأهمية بمكان، والتي ذاع صيتها في فترة من الفترات، وتعد أيضاً من أعلام الأزهر، التي كانت لها بصمات واضحة في المجتمع، ألا وهو الأستاذ الدكتور الشيخ/ **أحمد حسن الباقورى** (رحمه الله)، فقد أولى كتاب الله (جل جلاله) عناية بالغة يدل على ذلك ما خلّفه من قطوف، وتراث لتفسير بعض سور وآيات القرآن الكريم وعلومه أيضاً، وقد أمضى سنوات عدة في تدريس كتاب الله (جل جلاله) للناس عامة من خلال المسجد، وعبر أثير الإذاعة والتليفزيون، ومن خلال الجامعة العريقة التي كان ينتمي إليها بصفة خاصة، وتميز تفسيره بالتأصيل العلمي، وسلامة العقيدة، وقوة الأسلوب، ودقة الاستنباط، وإعمال القريحة في تفسير السور والآيات، وغير ذلك من الميزات التي ستتضح من خلال الصفحات القادمة، وقد قضت مشيئة الله- تعالى- أن يكون الشيخ/ **أحمد حسن الباقورى** (رحمه الله)، وما كتبه من قطوف في مجال التفسير وعلوم القرآن، موضوعاً لبحثي هذا، والذي جاء تحت عنوان: **(نظرات في تفسير الشيخ أحمد حسن الباقورى، عرض ودراسة وتعليق)**.

وقد توصلت من خلال هذا البحث إلى أن هذا التفسير أقرب إلى التفسير بالرأى منه إلى التفسير بالمأثور، فقد أكثر منه إلى الحد الذى عُدّ به، أن ما كتبه من تفسير ضمن التفسير بالرأى المحمود، وهذا ظاهر جليّ في كتاباته، وأيضاً من خلال مصادره التي استقى منها مادة تفسيره، وأغلبها تفاسير بالرأى المحمود.

وخلاصة القول: إن تفسير **الشيخ الباقورى** من التفسير بالرأى المحمود المَوْشِيّ بقليل من الأثر، إلى غير ذلك من الأمور المتعلقة بهذا البحث، وهى مبسوطة من خلال الصفحات التالية.

الكلمات الافتتاحية: نظرات- تفسير- الباقورى- عرض- دراسة- تعليق.

والله الموفق

إعداد الدكتور

عاطف محمد الخولـــي

الأستاذ المساعد بقسم الدراسات الإسلامية بكلية العلوم والآداب بطبرجل - جامعة الجوف بالمملكة العربية السعودية
ومدرس التفسير وعلوم القرآن بكلية أصول الدين بالقاهرة - جامعة الأزهر

ABSTRACT

Considerations on the Exegesis of Sheikh/ Ahmad Hassan Baqory: an Analytical and Critical Study

This paper is conducted to discuss one of the most important exegeses of Quran done by one of the leading scholars of Al-Azhar; Dr. Ahmad Hassan Al-Baqory- may Allah have mercy on him. He did a great job to the interpretation of the Quran. He spent too many years teaching educating people the Quran through mosques, radio, television and the university lectures where he was originally working. He adopted a very meticulous scientific approach.

I have conducted this paper on Dr. Baqory under the title "**Considerations on the Exegesis of Sheikh Ahmad Hassan Baqory: an Analytical and Critical Study"**

I concluded that this exegesis depended more on personal reasoning to reach judgments in the absence of clear texts than on *Tafsir bil-Ma'thur* (exegesis of the meanings of the Qur'an based on transmitted reports) which is very clear in his writings and the sources on which he relied.

In conclusion, exegesis of Sheikh Baqory can be considered as among those which depended on good personal reasoning guided by traces of the transmitted reports.

Key Words: Considerations-Exegesis-Al-Baqory-Analytical - Critical Study.

Prepared by

Dr. Atef Mohamed El-Kholy

Assistant Professor of Islamic Studies, College of Science and Arts-Tabarjal-Jouf University.

The Lecturer in the Department of Exegesis of the Glorious Quran and Quranic Sciences, Faculty of Usul El-Din (Islamic Theology) in Cairo-Al-Azhar University.

E-mail atefalkholi.adv@azhar.edu.eg

المُقَدِّمَة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعامين، اللهم صل على سيدنا محمد (ﷺ) الفاتح لما أغلق، والخاتم لما سبق، ناصر الحق بالحق، والهادي إلى صراطك المستقيم، وعلى أله وصحبه حق قدره ومقداره العظيم وسلم تسليماً كثيراً يارب العالمين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد،،

فإن الاشتغال بكتاب الله (ﷻ) قراءة وتفسيراً، وتدبراً، وعملاً، خيرُ ما بذلت فيه الأوقات، وأفنيت فيه الأعمار، وتنافس فيه الموفقون الأخيار، فإنه:

كالبدر مـــــــن حيثُ التَفتّ رأيتَه * يُهدي إلى عينيك نورا ثاقبـــــــاً

كالشمس في كبد السماء وضوئِها * يَغشي البلاد مشارقاً ومغاربـــــاً[1]

لكن محاسن أنواره لا تتكشف وتنجلي إلا لذوي البصائر النقية، ومنافع شفائه لا ينالها إلا أصحاب النفوس التقية، وأطايب ثمره لا يجنيها إلا الأيدي الزكية، كما وصف به الله (ﷻ) متناوليه: {**إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ (٧٧) فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ (٧٨) لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ (٧٩)**} الواقعة.

وقال في وصف سامعيه: {**قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدىً وَشِفاءٌ وَالَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ فِي آذانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى**} فصلت/ ٤٤.

---

(١) البيتان لأبي الطيب المتنبي، انظر: المفردات في غريب القرآن، لأبي القاسم الحسين بن محمد، المعروف بالراغب الأصفهاني ٥٤/١، ت: صفوان عدنان الداودي، ط: دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى ١٤١٢ هـ.، البلاغة الواضحة، لعلي الجارم، ومصطفي أمين ص ٣٠، ت: على نايف الشحود.

ولقد كان هذا الكتاب الخالد، ولا يزال موضع عناية واهتمام هذه الأمة منذ نزوله على النبي (ﷺ) إلى يومنا هذا، فلا يخلو عصر من العصور من مصنفات في خدمة كتاب الله (ﷻ)، هذه المصنفات تنوعت، وتشكلت حسب التخصصات، والمقدرة العلمية لكل مفسر، ناهيك عن توفيق الله (ﷻ) له، ومن هنا اتجهت عناية بعض العلماء إلى تفسيره، وبعضهم إلى أسباب نزوله، وبعضهم إلى أحكامه، وبعضهم إلى ناسخه ومنسوخه..... إلخ، ومنهم من جمع كل ذلك، حتى حفلت وذخرت المكتبة الإسلامية بكثير من المؤلفات التى تجل عن الحصر.

ومن أولئكم العلماء الذين بذلوا أنفسهم لخدمة كتاب الله (ﷻ) تعليماً، ومعايشة، وتأليفاً: الشيخ أحمد حسن الباقورى (رحمه الله)، الذي كان من أعلام الأزهر، فقد أولى كتاب الله (ﷻ) أهمية كبيرة يدل على ذلك ما خلّفه من قطوف، وتراث لتفسير بعض سور، وآيات القرآن الكريم، وعلومه أيضاً، وقد أمضى سنوات عدة في تدريس كتاب الله (ﷻ) للناس عامة من خلال المسجد، وعبر أثير الإذاعة، والتليفزيون، ومن خلال الجامعة العريقة التي كان ينتمي إليها- جامعة الأزهر-، وتميز تفسيره بالتأصيل العلمي، وسلامة العقيدة، وقوة الأسلوب، ودقة الاستنباط، وإعمال القريحة في تفسير السور والآيات، وغير ذلك من الميزات التي ستتضح من خلال الصفحات القادمة.

وقد وددت أن يكون الشيخ/ **أحمد حسن الباقورى** (رحمه الله)، وما كتبه من قطوف في مجال التفسير وعلوم القرآن، موضوعاً لبحثي هذا، والذي جاء تحت عنوان: **(نظرات في تفسير الشيخ أحمد حسن الباقورى، عرض ودراسة وتعليق).**

أسباب اختيار الموضوع

← كانت هناك عدة أسباب، ودوافع وراء اختيارى لهذا الموضوع، لعل من أهمها ما يلى:

أولا: إرادة الله ومشيئته، فهو الذى وفقنى، وهدانى لاختيار هذا الموضوع.

ثانيا: ارتباط هذا الموضوع بأجل العلوم، وأرفعها قدراً، وهو تفسير كلام الله (ﷻ)، والاشتغال بفهم كتابه وتدبره، والعيش بين آياته، ودرره.

ثالثا: أن الشيخ (رحمه الله) من الشخصيات التي لا يعرفها كثير من الناس، وطلبة العلم في أيامنا هذه، فأردت من خلال هذه الدراسة إلقاء الضوء على شخصيته، ومكانته بين علماء عصره، وجهوده في التفسير وعلوم القرآن.

رابعا: القيام ببعض واجب العرفان، والوفاء لمن رحلوا من مشايخنا وعلمائنا من علماء الأزهر الشريف، وكانت لهم بصمات، وإسهامات مشكورة في جميع المجالات، خاصة فى مجال التفسير وعلوم القرآن، وذلك للتعريف بهم، وبجهودهم، وما قدموه لنا من علم نافع.

خامسا: أن ما كتبه الشيخ من تفسير لم يُجمع في كتاب واحد مستقل، بل ما زال متفرقا بين كتب ومقالات شتي، فهو عبارة عن قطوف في مجال التفسير وعلوم القرآن، مما يشق على طلاب العلم جمعه والاستفادة منه، فجاء هذا البحث مشتملا على كثير مما كتبه في مجال التفسير وعلوم القرآن.

سادسا: عدم وجود دراسات سابقة سلطت الضوء على شخصية الشيخ، اللهم إلا بعض المقالات التي كتبت عنه بصفة عامة، ولم توضح آثار، ومؤلفات الشيخ، خاصة في مجال التفسير وعلوم القرآن.

سابعا: لغة الخطاب التي تحلى بها الشيخ (رحمه الله) وأسلوبه المتميز في تفسير القرآن الكريم، وهذا الأمر يعطي دفعة لمن أراد أن يستفيد من أسلوبه في مجال الدعوة، والإصلاح.

إن الشيخ قد سار على طريقة في تفسير القرآن الكريم، شدت إليه القلوب، واستمالة العقول، وذلك بلغته الفصيحة، وأسلوبه الأدبي البعيد عن التعقيدات

اللغوية، والاصطلاحات الفلسفية، والغموض، والإبهام، ومن كل ما يعوق دون الفهم، والإفهام.

ثامنا: القضايا المتنوعة التى طرحها الشيخ أثناء تفسيره، كالقضايا اللغوية، والاجتماعية، والعلمية، والتاريخية، وغيرها من القضايا المختلفة، وكيفية ربط هذه القضايا بآيات القرآن الكريم، مما يفيد الدعاة، وأهل العلم في مجال معرفة قواعد الربط بين القرآن، والواقع، الأمر الذى يضيف لهذا التفسير القدرة على مسايرة، ومواكبة عصره، وتطوراته، ويجعله مرجعاً يستفاد منه.

تاسعا: تنمية الملكة العلمية للباحث، وذلك من خلال الاستشراف، والوقوف على أسرار عقول المفسرين، ومشاربهم، ومناهجهم، وبذلك تتنوع العلوم الى يحصّلها الباحث من أمثال هذه الدراسات.

عاشرا: فتح آفاق جديدة أمام الباحثين من خلال النتائج والتوصيات التي سيخرج بها الباحث– إن شاء الله– من وراء هذه الدراسة.

مجال الدراسة وحدودها

← عرض كلام الشيخ (رحمه الله) في تفسيره الذى قام به لبعض سور، وآيات القرآن الكريم، ودراستها، ومقارنتها بأقوال المفسرين، والتعليق عليها بما إذا كانت موافقة لجمهرة المفسرين، أم مخالفة لهم، مؤيدا ذلك بالأدلة، والبراهين.

الدراسات السابقة

← يعتبر الحديث عن تفسير الشيخ الباقورى (رحمه الله) حديثاً جديداً، نظراً لقرب العهد بوفاته، وذلك بعد البحث، والاستقصاء، والسؤال، والرجوع إلى قواعد البيانات المختلفة، فلم أجد أي دراسة عُنيت بدراسة أقوال الشيخ في التفسير وعلوم القرآن، ودراستها ومقارنتها، اللهم إلا بعض المقالات التي كتبت عنه بصفة عامة في بعض المجلات الحكومية، والخاصة.

الصعوبات التي واجهت الباحث

تتمثل هذه الصعاب في أمرين:

الأول: عدم وجود المصادر، والمراجع التي تحدثت عن حياة الشيخ/ **الباقوري** (رحمه الله) ولم أجد سوى بعض المقالات من خلال شبكة المعلومات (النت)، ولعل السبب في ذلك: قرب وفاته.

الثاني: صعوبة الحصول على مؤلفات الشيخ بصفة عامة، والتفسير وعلوم القرآن بصفة خاصة، ولم أتحصل إلا على ثلاثة مؤلفات في مجال التفسير وعلوم القرآن (تحت راية القرآن) طبعة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، (ومعاني القرآن بين الرواية والدراية) طبعة مركز الأهرام للترجمة والنشر، (ومع القرآن) طبعة دار المدني بالقاهرة، ووقفت على كتاب (مع كتاب الله) ضمن مطبوعات مركز الأهرام، إلا أن المركز لم يعد طباعته مرة أخرى.

منهاج البحث والدراسة

← المنهج المتبع في هذا البحث هو المنهج الاستقرائى، الوصفي، التحليلى، النقدي- أحياناً- وتتمثل أهم جوانبه وخطواته فيما يلى:

أولا: عزوت الآيات القرآنية إلى سورها، مبيناً رقمها، مع ضبطها بالشكل.

ثانيا: خرجت الأحاديث النبوية من مظانها، فإن كان الحديث في الصحيحين، أو أحدهما اكتفيت به، وإلا خرّجته من بقية كتب السنة، مع الحكم عليه، وذكر الكتاب، والباب، ورقم الحديث، والجزء، والصفحة.

ثالثا: توثيق النصوص التي نقلتها واستشهدت بها من مصادرها الأصلية توثيقاً علمياً دقيقاً.

رابعا: ضبط ما يحتاج إلى ضبط ويُشكِلُ فهمه ويلتبس نُطقه إلى تشكيل.

خامسا: الالتزام قدر الإمكان بطبعة واحدة لكل مصدر أو مرجع، والمعول عليه في معرفة هذه الطبعات هو الفهرس الخاص بذلك والذى سيثبت في نهاية البحث.

سادسا: شرح الكلمات الغريبة التي تحتاج إلى بيان وتوضيح.

سابعا:عزو الأبيات الشعرية إلى مصادرها.

ثامنا: تذييل البحث بفهرس المصادر، والموضوعات.

تاسعا: عند ذكري لكلمة (الشيخ) أثناء البحث، أو لفظة (شيخنا) فالمراد بها الشخصية التى أعيش معها من خلال هذا البحث، وهو الشيخ/ **أحمد حسن الباقوري** (رحمه الله).

عاشرا: راعيت ترتيب السور، والآيات عند إيراد الأمثلة، التي تخدم القضية المراد عرضها.

الحادى عشر: حاولت قدر الإمكان الاستشهاد مع كل قضية بمثال من كل مؤَلف من مؤلفات الشيخ الثلاثة، التي وقعت بين يدى، ولها تعلق وطيد بالتفسير وعلوم القرآن، والمشار إليها سلفاً.

خطة البحث

انتظم هذا البحث في: مقدمة، وتمهيد، وثلاثة فصول، وخاتمة، وفهارس.

وقد ورد هذا الترتيب على النحو التالى:

= **المقدمة:** وقد بينت من خلالها ما يلى:

(أ) بيان أهمية الموضوع. **(ب)** أسباب اختيار الموضوع.

(ج) مجال الدراسة وحدودها. **(د)** الدراسات السابقة.

(هـ) الصعوبات التي واجهت الباحث. **(ز)** منهاج البحث والدراسة.

(و) خطة البحث.

= **التمهيد:** وقد اشتمل على مبحثين:

الأول: أضواء على حياة الشيخ/ **الباقورى**

وتشتمل على خمسة مطالب.

الثاني: التعريف بما كتبه الشيخ الباقورى في مجال التفسير وعلوم القرآن

وتتضمن خمسة مطالب

= **الخاتمة:** نسأل الله حسنها، وقد بينت من خلالها أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال البحث.

= **الفهارس:** وتشتمل على ما يلى:

(أ) ثبت المصادر والمراجع. **(ب)** ثبت الموضوعات.

= **وبعد،،،** فلست أدعي لبحثي هذا الكمال، فالكمال لله وحده، فما كان فيه من صواب فمن توفيق الله (ﷻ)، وما كان فيه من خطأ فمني والشيطان، وحسبي أني بذلت قصارى جهدى، وقدر طاقتي في إعداده.

وأسأل الله أن يمن علىّ بالتوفيق، ويشرح لى صدري، ويُيسر لى أمري، ويهديني سواء السبيل، فإنه لا هداية إلا بنوره، ولا توفيق إلا بتدبيره، إنه قريب مجيب.

وقد أبي الله (ﷻ) أن يكون الإعجاز إلا لكتابه الكريم، فالله أسأل أن يغفر لي ما زل به القلم عن سهو، وخطأ غير متعمد، وأسأله أن يجزي من قرأ وأشرف على هذا البحث في إخلاص دؤوب، ونصيحة غالية واعية، وأبوة حانية، خير الجزاء..

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

التمهيد

ويشمل على مبحثين:

المبحث الأول

أضواء على حياة الشيخ الباقورى

ويشتمل على خمسة مطالب:

المطلب الأول

مولده، ومسيرته العلمية، ووظائفه.

أولا: مولده: ولد الشيخ أحمد حسن الباقورى سنة ١٩٠٧م، في قرية (باقور) مركز (أبوتيج) بمحافظة أسيوط.

ثانيا: مسيرته العلمية: التحق الشيخ بكُتاب القرية، وبعد إتمامه حفظ القرآن الكريم التحق بمعهد أسيوط الديني سنة ١٩٢٢م، وحصل على الثانوية الأزهرية في ١٩٢٨م، ثم التحق بالقسم العالي، وانتقل إلى القاهرة علم ١٩٢٩م، وحصل منه على شهادة العالمية النظامية عام ١٩٣٢م، ثم حصل على شهادة التخصص في البلاغة والأدب في ١٩٣٦م عن رسالته: (أثر القرآن في اللغة العربية).

ثالثا: الوظائف التي تقلدها:

- مدرس اللغة العربية وعلوم البلاغة في معهد القاهرة الديني عام ١٩٣٦.
- مراقب بكلية اللغة العربية.
- وكيل معهد أسيوط الديني عام ١٩٤٧.
- وكيل معهد القاهرة الأزهري الديني.
- شيخ المعهد الديني في مدينة المنيا.
- مدرس بكلية اللغة العربية.
- عضو في المجلس الأعلى لهيئة التحرير.

روزير الأوقاف في ثورة يوليو ١٩٥٢م، ثم وزير الأوقاف في الجمهورية العربية المتحدة حتى عام ١٩٥٩م.

- مدير جامعة الأزهر عام ١٩٦٤.
- مستشار برئاسة الجمهورية.

المطلب الثاني
الهيئات التي كان ينتمى إليها، وقيادته لثورة الأزهر

اولا: الهيئات التي ينتمي إليها:

- عضو مجمع اللغة العربية.
- عضو مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف.
- عضو المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية.
- عضو جامعة الشعوب العربية والإسلامية.
- رئيس ومدير ومعهد الدراسات الإسلامية.
- عضو المجلس القومي للتعليم والبحث العلمي والتكنولوجيا.
- عضو المجلس القومي للتعليم، شعبة التعليم الجامعي.
- عضو لجنة التعليم بالحزب الوطني.
- عضو لجنة التنسيق بين الجامعات، وأكاديمية البحث العلمي.
- مستشار اليونسكو، الشعبة القومية بالقاهرة.
- عضو المجلس الأعلى للأزهر.

ثانيا: قيادته لثورة الأزهر: كان الشيخ الباقورى طوال حياته من طلاب الأزهر النابهين، وكان خطيباً مفوهاً، وشاعراً، مجيداً، وقد اختاره طلاب الأزهر قائداً لثورتهم سنة ١٩٤٠م، حين ثاروا على مشيختهم المفروضة عليهم من قِبل الملك، الذى أقال شيخهم الأكبر القريب منهم، والمحبب إليهم الشيخ/ محمد مصطفى المراغي.

ثار الأزهر على الظلم الواقع عليه، فقد كان العالِم من خريجي الأزهر في أي من كلياته يُعيّن براتب قدره ثلاثة جنيهات في معاهد الأزهر، وكان معلم المدرسة

الإلزامية خريج مدرسة المعلمين الابتدائية يُعيّن بأربعة جنيهات، ولم يجد الأزهريون شيخاً يتبنّى مطالبهم غير الشيخ المراغى، وهو من الشيوخ الذين جمعوا بين الأصالة والمعاصرة، فثاروا مطالبين بتحسين أوضاعهم، وإعادة شيخهم المراغي لقيادة سفينة الأزهر، وانتصرت ثورة الأزهر التي لمع فيها اسم الباقورى زعيم الثورة، حتى أطلقت الصحفية (نعم الباز) لقب: (ثائر تحت العمامة) على الشيخ الباقورى، في دراسة لها عن الباقورى، ومواقفه، وحياته، فلم تجد عنواناً يُعبر عن مواقفه إلا هذا العنوان، وبعد عودة الشيخ المراغى إلى مشيخة الأزهر دعا الشيخ أحمد حسن الباقورى، وقدم له هدية تقديراً لجهوده.

المطلب الثالث

مؤلفاته وأبحاثه، وأهم أعماله، والمؤتمرات التى شارك فيها

أولا: مؤلفاته، وأبحاثه العلمية:

- الإدراك المباشر عند الصوفية عام ١٩٤٩م.
- سيكولوجية التصوف عام ١٩٥٨م.
- دراسات في الفلسفة الإسلامية عام ١٩٥٨م.
- ابن عطاء الله السكندري وتصوفه عام ١٩٥٨ م.
- ابن عبّاد الرافدي، حياته ومؤلفاته عام ١٩٥٨ م.
- علم الكلام وبعض مشكلاته عام ١٩٦٦م.
- الإسلام في أفريقيا عام ١٩٧٠م.
- إخوان الصفا، ودورهم في التفكير الإسلامي.
- الإسلام والفكر الوجودي المعاصر عام ١٩٧٨م.
- العلاقة بين الفلسفة والطب عند المسلمين عام ١٩٨١م.

• وجوب استقلالية الثقافة المصرية بين التيارات الفكرية المعاصرة عام ١٩٨٤م.

ثانيا: أهم أعماله:

• مع كتاب الله. • مع الصائمين. • وسائل الشيعة، ومستدركاتها.

• مع القرآن. • تحت راية القرآن، طبعة: المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية.

• معانى القرآن بين الرواية والدراية، طبعة: مركز الأهرام للترجمة والنشر.

• أثر القرآن في اللغة العربية، تقديم: طه حسين، ط: دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٧م.

• كتاب (عروبة ودين) ويشتمل على موضوعات شتي تمثل خلاصة لمجموعة الخطب التي ألقاها في مناسبات مختلفة، وفى حفلات عديدة.

• خواطر وأحاديث. • له تقديم لكتاب (العلم والإيمان).

• كتاب (قطوف من أدب النبوة) وهو عبارة عن شرح من الناحتين الشرعية، واللغوية لحوالي مائتي حديث من الأحاديث النبوية، شرحاً سلساً ميسراً، في متناول القراء العاديين، والكتاب يقع في جزأين صغيرين.

• سعى في نشر كتاب (المختصر النافع) في فقه الإمامية.

• له مذكرات نشرت بعد وفاته باسم (مذكرات الدعوة والداعية).

• كتب عن سيرته (روح وريحان من حياة داع ودعوة) لأحمد أنس الحجاجي.

• له مشاركة واسعة في المقالات الأدبية، والأحاديث في الإذاعة والتليفزيون.

• كتاب عن (مصطفى كمال أتاتورك) يكشف فيه عن تحقيق أحلام المستعمرين من هدم الدولة الإسلامية، وتفتيت وحدتها على يد (أتاتورك) الذى كان معادياً للدين، ومتلهفاً على الحكم.

• أما كتابه الذى نشر بعد وفاته، عن مركز الأهرام للترجمة والنشر، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م، فهو كتاب (بقايا ذكريات).

ثالثا: المؤتمرات التي شارك فيها:

- مؤتمر فلسفة العصر الوسيط، بون، ألمانيا الغربية.
- مؤتمر التعليم الإسلامي، مكة المكرمة، المملكة العربية السعودية ١٩٧٨م.
- مؤتمر السنة، والسيرة، قطر ١٩٨٠م.
- مؤتمر الطب الإسلامي، الكويت ١٩٨١م. • مؤتمر الإسلام، فرنسا ١٩٨٢م.

المطلب الرابع
الباقورى والوحدة الوطنية

كان الشيخ/ **الباقورى** حريصاً على مقاومة التعصب الديني البغيض، عملاً بقول الله تبارك وتعالى: **{لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ}** الممتحنة/ ٨، وقد اهتم بهذه القضية وبحثها بحثاً يدل على سعة العلم، وعمق الفكر، وصواب النظر، والتأمل، مؤكداً في (بقايا ذكرياته):

"أن على المسلم ان يتعصب لعقيدته بالدعوة إليها والانتصار لها، بشرط ألا يواقع ظلماً في محاربته أصحاب عقيدة دينية يدينون الله عليها، ثم لا يعينون ظالماً لنا على اغتصاب أرضنا وانتهاب أموالنا.

وأقباط مصر لم يعينوا ظالماً لنا، ولا مستعمراً أرضنا، بل كانوا شركاءنا في مجاهدة الاستعمار، والمستعمرين، وثورة ١٩١٩م ضد الاستعمار أعدل شاهد على هذا الذى نقول.

فالمسلم مأمور بترك الحرية الدينية لذى العقيدة من المسيحيين، وغير المسيحيين، بشرط ألا يقاتلنا هؤلاء في الدين، ولا يعملوا على إخراجنا من أرضنا، ولا يظاهروا أحداً علينا أراد أن يغصب أرضنا، أو يتسلط على أموالنا، ويستذل إنسانيتنا.

والتعصب على وجهين:

أحدهما: التعصب للعقيدة. **ثانيهما:** التعصب في ظل العقيدة.

والتعصب للعقيدة أمر فطري، إذ كان قيام العقيدة في نفس صاحبها يقتضى الانتصار لها والدفاع عنها وعن الذين يشاركونه فيها، وذلك أمر لا تأباه الشريعة المحمدية بدليل قول رسول الله (ﷺ) "**خيركم المدافع عن عشيرته، ما لم يأثم**"(١)، وقد بين (ﷺ) منطقة الإثم حين سأله سائل ما العصبية يا رسول الله؟ فقال له (ﷺ): "**هي أن تعين قومك على ظلم**"(٢).

فالعصبية في ذاتها أمر لا مفر منه، فإن دعت إلى ظلم، أوأُعلنت عليه فذلك هو الاثم البغيض إلى اهل الحق على ما ورد في الحديث الشريف.

فأما الطرف الأول الذى هو تعصب للعقيدة فإن الإشارة إليه ماثلة في قوله تعالى: **{لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ}**.

وليس يشك أهل الإنصاف في أن حياة الأقباط في عهد الدولة لإسلامية كانت أدنى إلى السلامة، والسلام منها في عهد الدولة الرومية".(٣)

---

(١) انظر: سنن أبى داود، لأبى داود بن الأشعث الأزدى السجستاني ٤٤٠/٧، كتاب: أبواب النوم، باب: في العصبية، ت: شعيب الأرنؤوط، ط: دار الرسالة العالمية، الطبعة الأولى. ١٤٣٠هـ، ٢٠٠٩م، وقال عنه أبو داود: فيه (أيوب بن سويد) ضعيف، وكذلك قال محقق الكتاب.

(٢) انظر: سنن أبى داود ٤٤٠/٧، وقال محقق الكتاب: حديث حسن.

(٣) انظر: بقايا ذكريات، للشيخ أحمد حسن الباقورى، ص ٢٠٩ – ٢١١، ط: مركز الأهرام للترجمة والنشر، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م.

"وكان الباقورى طول حياته حريصاً على الوحدة الوطنية، معلناً عن مبادئه الإسلامية في الدعوة إلى الحب والتسامح، رافضاً التعصب، والجهالة، فقد كان يزور الكنائس في أيام الآحاد ليخطب في المسيحيين داعياً إلى الألفة، والحب، والمودة، فوجدتْ فيه ثورة عام ١٩٥٢م إماماً لها في الدعوة الوطنية، والتقريب بين المذاهب، وحرص الشيخ على التقريب بين رجال الدين في المسيحية، وعلماء الدين في الإسلام مما كان لع عظيم الأثر في إنماء الدعوة للحوار بين الأديان، والتقريب بين الهيئة البابوية، والهيئات الإسلامية".[١]

المطلب الخامس

كتابات ومقالات عن الباقورى، الجوائز والأوسمة التي حصل عليها، ووفاته

أولا: كتابات ومقالات عن الباقورى:

الشيخ/ **الباقورى** (رحمه الله) كان محل نظر، واعتبار، واهتمام كثير من الباحثين، والمفكرين، حيث أثنوا عليه خيرا، وعلى مواقفه، وقراراته، وعلمه، أذكر منهم على سبيل المثال لا على سبيل الحصر والإجمال، حيث لا يتسع المقام لذكرها، نظراً لكثرتها، وبسطها وطولها.

- ما قاله عنه الدكتور/ طه حسين عند زيارته لمجمع اللغة العربية، وترحيبه له[٢]

(١) انظر: أحمد حسن الباقورى من رواد الأزهر في التجديد والإصلاح، السيد محمد الديب، ص ٢٥٤٨.

(٢) انظر: مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، العدد ١٣، مجلة محكمة، سنة ١٩٦١م، الصفحات من ٢٤١ – ٢٤٨.

- ما كتبه عنه الدكتور/ عبد المعطي بيومي في حديث معه حول قضايا الدين والفكر.[١]
- ما كتبه عنه الدكتور/ السيد محمد الديب بعنوان: (**أحمد حسن الباقورى** من رواد الأزهر في التجديد والإصلاح).[٢]
- ما كتبه عنه: محمد جمعة العدوي بعنوان (الباقورى، وجائزة الدولة التقديرية)[٣].
- ما كتبه عنه: عبد الرحمن الباقورى، حول حياته، وما يتعلق به.[٤]

ثانيا: الجوائز والأوسمة التي حصل عليها:

- جائزة الدولة التقديرية في العلوم الاجتماعية من المجلس الأعلى للثقافة عام ١٩٨٥، وهذا الترشيح تم من قِبل مجمع البحوث الإسلامية، وهذا الترشيح منهم يُمثل وجهة نظر الأزهر، وأن الشيخ من وجهة نظرهم يمثل كياناً فكرياً، وعلمياً، يستحق بواسطته جائزة الدولة التقديرية.
- حصل على مجموعة من الجوائز والأوسمة، وشهادات التقدير التي حصل عليها من دول العالم العربي.
- ترأس مصر في كثير من المؤتمرات الإسلامية، والعربية، والدولية.

ثالثا: وفاته:

توفى أثناء علاجه في لندن في ٢٧ أغسطس ١٩٨٥.

---

(١) انظر: مجلة الوعي الإسلامي، التابعة لوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، العدد ٦٤، سنة ١٩٧٠م، يونيو / ربيع الثاني، الصفحات من ٧٠ – ٧٥.

(٢) انظر: أحمد حسن الباقورى من رواد الأزهر في التجديد والإصلاح، السيد محمد الديب، الصفحات من ٢٥٣٥ – ٢٥٥٨.

(٣) انظر: مجلة التوحيد، جماعة أنصار السنة المحمدية، الصفحات من ٢٤ – ٢٦، العدد السادس، سنة ١٩٨١م.

(٤) راجع شبكة المعلومات (النت) ومقال عبد الرحمن الباقورى عن الشيخ.

المبحث الثاني
أضواء على تفسير الشيخ الباقورى

ويشتمل على خمسة مطالب:

المطلب الأول
الوصف العام للتفسير

ما كتبه، وألفه الشيخ الباقورى في مجال التفسير وعلوم القرآن، والذى وقع تحت يدي، وحاولت البحث فيه قدر استطاعتي، يقع في ثلاثة مؤلفات:

- **المؤلف الأول:** (معاني القرآن بين الرواية والدراية) ويقع في مائتين وسبع وثمانين صفحة، ضمن مطبوعات مركز الأهرام للترجمة والنشر – القاهرة– الطبعة الأولى ١٤٠٦ هـ، ١٩٨٦م.
- **المؤلف الثاني:** (مع القرآن) ويقع في مائة وسبع وتسعين صفحة، طبعة دار المدني، القاهرة.
- **المؤلف الثالث:** (تحت راية القرآن) ويقع في مائة وعشرين صفحة، ضمن مطبوعات المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، مركز السيرة والسنة، التابع لوزارة الأوقاف– مصر، العدد الحادى عشر، الخامس عشر من جمادى الآخرة ١٤١٧هـ، أكتوبر ١٩٩٦م.

المطلب الثاني
دوافع كتابته للتفسير

كانت هناك دوافع قوية حرّكت همة شيخنا الباقورى (رحمه الله) لتأليف تفسيره.

وأرى: أن الدافع الأكبر لكتابة هذا التفسير هو القرآن الكريم ذاته، ذلك الكلام القدسي الذي تمكن من قلب، وعقل ذلك الشيخ، فملئه خيراً، وبركة.

• وبقراءتي لما كتبه الشيخ في مجال التفسير وعلوم القرآن، وجدته يقول في صدر، وطليعة كتابه (مع القرآن):

"إلى الغياري على القرآن العظيم، لغة، وأدباً، وشرعاً، ومنهجاً، أُهدي هذا الكتاب، ضارعاً إلى الله (ﷻ) أن يجمع- تحت راية كتابه العزيز- كلمة أُمتنا، ويوّحد صفها، ويُلم شملها، حتى تكون كما يحب الله لها أن تكون، خير أمة أخرجت للناس، تأمر بالمعروف، وتنهى عن المنكر، وتؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والله- تعالى- سميع مجيب الدعاء، بيده الخير، وهو على كل شيء قدير.

وبعد مقدمته لهذا الكتاب قال: ثم أما بعد، فقد رغبتم إليّ- حفظكم الله- أن أكتب لكم كتاباً في تفسير جزء (تبارك)، وقد شفعتم رغبتكم هذه- أعزكم الله- بأخرى أبعد أفقاً، وأمنع جانباً، أن يكون هذا الكتاب نسيج وحده بين كتب التفسير، وليس أحب إليّ من أن أستجيبكم، وأنطلق بكم غير متقيد بما أورثنا أسلافنا الصالحون في باب التفسير لكتاب الله الكريم.

غير أن هذا الانطلاق وما يشير إليه مما يتضمن معنى الاختراع، والابتكار، إن هو إلا كلام مقول لا يعدو أن يكون من كلمات القشور التي تسْتأْسِر- من الأسْر- لها الأسماع كما تستأسر لكلمات القُصاص في الروايات التجارية، تجرى بها الأقلام في الصحف، أو تلوكها الألسن في الأندية، والمجالس، ثم هي- بعد- {كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ} النور/ ٣٩، وإلا فما أصدق ما يقول الأُول:

ما أَرانا نقول إلا مُعاراً * أو مُعاداً من لفظنا مَكْرُورا**[1]".[2]

---

(١) البيت لكعب بن زهير، انظر: تاريخ الأدب العربي العصر الجاهلي، دكتور/ شوقي ضيف، ص ٢٥١، ط: دار المعارف، مصر.

(٢) انظر: مع القرآن، للشيخ أحمد حسن الباقورى ص ١، ٨ ط: دار المدني، القاهرة.

• وعند تأليفه لكتاب (تحت راية القرآن) قال في التمهيد لهذا الكتاب:

"طَلبت إليّ– رحم الله بك أبويك–[1] أن تنشر لى ما كنت قد طويته من التعليق على بعض الآيات الشريفة، التي كان شيخنا الإمام يُتوج بها أحاديثه إلى الآتين دروسه من الطلاب، والمريدين، وها أنذا أبعث بها إليك، بعد أن قدمت لها بكلمات لم أجد منها بداً، ولا عنها محيصاً، وإني لضارع إلى الله (ﷻ) أن يعزك، ويعز بك قومك، وصحبك، وذويك، كفاء ما زودك من شرف التقوى، وجمّلك بحسن الخلق، وأسبغ عليك نعمه ظاهرة وباطنة في دينك، ودنياك، والله وليّ التوفيق، وهو للائذين به، والضارعين إليه نعم المولى، ونعم النصير"[2].

المطلب الثالث
طريقته في التفسير

لم يراع الشيخ ترتيباً معيناً، ولا تنسيقاً بعينه يلتزمه فيما فسره من بعض آيات، وسور القرآن، فقد كان تارة يبدأ بذكر المعني أولاً، وتارة يبدأ بذكر أسباب النزول أولاً، وتارة يبدأ بذكر المناسبة أولاً، وتارة يبدأ بذكر ما تشتمل عليه الآية، أو الآيات من اللغة، وأحياناً يذكر ما يستفاد منها....إلخ، وهذا أوفق في نظري إلى أن ما كتبه في التفسير وعلوم القرآن، إنما هي قطوف، وسيأتى بيان ذلك تفصيلاً في الفصول اللاحقة بإذن الله.

وقد اختلفت طريقة الشيخ في تفسيره مع كل مؤلف من مؤلفاته الثلاثة، على ما يلي:

---

(١) المخاطب بهذا: هو المجلس الأعلى للشئون الإسلامية في شخص أمينه العام، والمشرف على مطبوعاته.

(٢) انظر: تحت راية القرآن، للشيخ أحمد حسن الباقورى، ص ٥، ط: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، التابع لوزارة الأوقاف، مصر.

أولا: كتاب (مع القرآن):

• أنه يقوم بإيراد طائفة من الآيات يسميها ب (نص الآيات)، ولكن بدون وضع عنوان لهذه الطائفة، ثم يعقبها بـ (لغة الآيات) يبين من خلالها معاني بعض الكلمات الواردة في هذه الطائفة من الآيات، والمراد بها، ثم يتبعها بـ (معنى الآيات) أو المعنى الإجمالي لها، ثم يثنيّها بـ (حول الآيات) يقف من خلالها بعض الوقفات، ويذكر بعض اللطائف الواردة فيها، وما تضمنته من بعض الاشتقاقات اللغوية لبعض الألفاظ، وذلك كله من خلال تفسيره لسورة (الملك).

• تعرضه بعد ذلك لتفسير آيات السؤال الستة الواردة في سورة (البقرة) أطلق عليها (وقفات) ومع كل سؤال يقول: الوقفة الأولى، الوقفة الثانية، وهكذا، ومع كل وقفة يذكر سبب نزول هذا السؤال، وما يشتمل عليه من معان، وأحكام.

• ثم تعرض لتفسير آية البر من خلال سورة (البقرة) في قوله تعالى: **{لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلائِكَةِ وَالْكِتابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمالَ عَلى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبى وَالْيَتامى وَالْمَساكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقابِ وَأَقامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذا عاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْساءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ}** البقرة/ ١٧٧.

• كما تعرض أيضاً لإبطال دعوى أن الإسلام انتشر بالسيف، وذلك من خلال قوله تعالى في سورة (البقرة) أيضاً: **{لا إِكْراهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقى لا انْفِصامَ لَها وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ}** البقرة/ ٢٥٦.

• ثم اختتم هذا الكتاب بالحديث عن بعض آيات من سورة (النور) و (الحجرات) قام من خلالهما ببيان الآداب التي تضمنتها هذه الآيات، وأحياناً يقوم ببيان بعض ألفاظها.

ثانيا: كتاب (تحت راية القرآن):

• ما ورد في هذا الكتاب كان عبارة عن جلسة قرآنية علمية، يقرأ فيها القارئ ببعض آيات من القرآن الكريم، ثم يقول المتحدث- وكأنه الأمين العام للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية-: فلما فرغ القارئ من قراءته، قال الشيخ العارف الإمام.....، وأحياناً كان يقول: فلما فرغ من قراءته الفاقهة الخاشعة، أقبل الشيخ الإمام على من حوله من تلاميذه ومريديه فقال.....، وأحياناً بصيغ، وألفاظ، وعبارات أخرى مختلفة.

• وطريقة عرض الشيخ لتفسيره في هذا الكتاب: أنه كان يقوم بإيراد مجموعة من الآيات القرآنية، من خلال سور شتي، بدون ترتيب مصحفي، يضع لها عنواناً مناسباً لها، مستفاداً، ومأخوذاً من مجمل هذه الآيات، ثم يقوم بتفسيرها، ببيان ما اشتملت عليه من أسباب للنزول، وذكر بعض الفوائد، والأحكام، والعبر، والمواعظ المأخوذة منها.....إلخ.

ثالثا: كتاب (معاني القرآن بين الرواية والدراية):

• هذا الكتاب مُصدّر بتقدِمة للدكتور/ عبد الجليل شلبي (رحمه الله) الأمين العام السابق لمجمع البحوث الإسلامية، والذى أورد من خلال هذه المقدمة أن هذا الكتاب من المخطوطات التي تركها وخلّفها الشيخ الباقورى، وأنه لم يُطبع في حياته، ثم أردف قائلاً: إن هذا الكتاب له هدف، ومحور واحد، وهو (وحدة المسلمين)، وقد تحدث الشيخ الباقورى في هذا الكتاب عن الروابط الثلاثة التي تجمع، وتوّحد المسلمين، وهى:

(القرآن الكريم- الكعبة المشرفة- الخلافة الإسلامية)، واستفاض في الحديث عن الروابط الثلاثة.

• الشيخ الباقورى من خلال هذا الكتاب كان يُورد مجموعة من الآيات القرآنية، بدون ترتيب مصحفي، ومن خلال سور متفرقة، وربما أورد تفسيراً لبعض قصار سور القرآن الكريم، ويقوم بتفسيرها، وبيان ما اشتملت عليه من أحكام، ومعان، وكان له مع بعضها الكثير من الوقفات، واللطائف التي يستخرجها من خلال تدبره لها.

• من خلال تفسيره لما ورد في هذا الكتاب أحياناً يضع عنواناً للمجموعة من الآيات، وأحياناً يقوم بالتفسير مباشرة ولا يضع عنواناً لها.

← وفى الأعم الأغلب كان بعد انتهائه من تفسير كل آية، أو الطائفة من الآيات يتضرع إلى الله (ﷻ) بالدعاء، ويثنى عليه بما هو أهله.

المطلب الرابع

حصر كامل للآيات والسور التي فسرها الشيخ الباقورى من خلال المؤلفات الثلاثة على حسب ورودها فيها

أولا: كتاب (مع القرآن):

• تفسير سورة الملك كاملة.

• آيات السؤال الستة الواردة في سورة البقرة، وهى على النحو التالي:

١- السؤال الأول: {**يسألونك عَنِ الْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَواقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ.....**} البقرة/ ١٨٩.

٢- السؤال الثاني: {**يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ.....**} البقرة/ ٢١٧.

٣- السؤال الثالث: {**يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا.....**} البقرة/ ٢١٩.

٤- السؤال الرابع: {**وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ.....**} البقرة/ ٢١٩.

٥- السؤال الخامس: {**وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ.....**} البقرة/ ٢٢٠.

٦- السؤال السادس: {**وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى...**} البقرة/ ٢٢٢.

• تفسير آية البر من سورة البقرة في قوله تعالى: {**لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلائِكَةِ وَالْكِتابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمالَ عَلى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبى وَالْيَتامى وَالْمَساكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقابِ وَأَقامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذا عاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْساءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ**} البقرة/ ١٧٧.

• كما تعرض أيضاً لإبطال دعوى أن الإسلام انتشر بالسيف، وذلك من خلال قوله تعالى في سورة (البقرة) أيضاً: {**لا إِكْراهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقى لا انْفِصامَ لَها وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ**} البقرة/ ٢٥٦.

• تفسير بعض آيات سورة النور، وهى على النسق التالي:

١- الآية الرابعة، والخامسة من السورة الكريمة.

٢- الآية الثالثة والعشرون من السورة الكريمة.

٣- الآية السابعة والعشرون من السورة الكريمة.

٤- الآية الثلاثون، والحادية والثلاثون من نفس السورة الكريمة.

• تفسير بعض آيات سورة الحجرات، وهى على النسق التالي:

١- من الآية الأولى حتى السادسة من السورة الكريمة

٢- من الآية التاسعة حتى الثالثة عشر من نفس السورة الكريمة.

ثانيا: كتاب (تحت راية القرآن):

- تفسير بعض آيات سورة الواقعة، من الآية الخامسة والسبعين حتى الثمانين.
- تفسير سورة الفاتحة.
- تفسير الآية السابعة، والثامنة من سورة المائدة، تحت عنوان (معني الميثاق).
- تفسير سورة البقرة من الآية الثلاثين حتى الرابعة والثلاثين، تحت عنوان (حكم الشورى).
- الآية التاسعة والعشرون من سورة الفتح، تحت عنوان (صحابة النبي (ﷺ)).
- تفسير اللآية المائة من سورة آل عمران حتى الآية الثانية بعد المائة، تحت عنوان: (إخاء المدينة).
- تفسير الآية الثانية والعشرون، والثالثة والعشرون من سورة الشورى، تحت عنوان (المودة في القربي).
- تفسير الآية الثالثة عشر بعد المائة من سورة آل عمران حتى الخامسة عشر بعد المائة تحت عنوان (المؤمن المتقي).

= الآية الثانية والأربعون بعد المائة من سورة البقرة، (قبلة المسلمين).

= الآية السادسة والتسعون، والسابعة والتسعون من سورة آل عمران، تحت عنوان: (مكة والحجر).

- الآية الخامسة والثمانون بعد المائة من سورة البقرة، تحت عنوان: (شهر رمضان).
- الآية السابعة والثمانون بعد المائة من سورة البقرة، تحت عنوان: (وساد عديّ).
- الآية الحادية والعشرون من سورة الروم، (سنة الزواج).
- الآية الثلاثون من سورة، تحت عنوان: (غض البصر).
- الآية الثانية والعشرون بعد المائتين من سورة البقرة، تحت عنوان: (الرضاع المُدَعْثَر).

- من الآية الثالثة والثمانين حتى الخامسة والثمانين من سورة الأنعام، تحت عنوان: (من الذرية؟).
- من الآية الثالثة عشر حتى الخامسة عشر من سورة لقمان، تحت عنوان: (بر الوالدين).
- الآية الستون من سورة التوبة، تحت عنوان: (تحرير العبيد).
- الآية الثالثة والثلاثون من سورة النور، تحت عنوان: (مكاتبة الرقيق).
- الآية السادسة والعشرون من سورة البقرة، تحت عنوان: (الإيضاح والإفهام).
- من الآية الخامسة عشر حتى التاسعة عشر من سورة الذاريات، تحت عنوان: (السائل والمحروم).
- الآية الثالثة والأربعون من سورة البقرة، تحت عنوان: (حد الاعتدال).
- الحديث عن الأحرف المقطعة عند بداية سورة البقرة، تحت عنوان: (معانى الحروف).
- من الآية الحادية والخمسين حتى السابعة والخمسين من سورة الأنعام، (الصور والتماثيل).
- الآية الخامسة والعشرون بعد المائة، والسادسة والعشرون بعد المائة من سورة، تحت عنوان: (الدعوة بالحكمة).
- من الآية الرابعة والعشرين حتى السادسة والعشرين من سورة الأنفال، تحت عنوان: (دعوة المظلوم).

ثالثا: كتاب (معاني القرآن بين الرواية والدراية):

- من الآية السابعة والعشرين بعد المائة حتى التاسعة والعشرين بعد المائة من سورة البقرة تحت عنوان: (بناء الكعبة).

- الآية السادسة والتسعون، والسابعة والتسعون من سورة آل عمران، تحت عنوان: (بناء الكعبة).
- الآية الأولى، والثانية من سورة الفاتحة، تحت عنوان (تفسير سورة الحمد لله رب العالمين). • الآية الثامنة من سورة النساء.
- الآية الأولى، والثانية، والثالثة من سورة البقرة.
- تفسير الآية الثلاثون من سورة البقرة
- من الآية الحادية والثلاثين حتى الآية السابعة والثلاثين من سورة البقرة.
- من الآية مائة وست حتى مائة وثمان من سورة البقرة، تحت عنوان: (الناسخ والمنسوخ).
- الآية الثمانون بعد المائة من سورة البقرة.
- الآية الرابعة والثلاثون بعد المائتين، والأربعون بعد المائتين من سورة البقرة.
- الآية الرابعة والثمانون بعد المائتين من سورة البقرة.
- الآية السادسة عشر من سورة النساء. • الآية الستون بعد المائتين من سورة البقرة.
- الآية الرابعة والعشرون من سورة النساء، تحت عنوان: (زواج المتعة).
- الآية الخامسة والستون من سورة الأنفال.

رالآية الثانية عشر، والثالثة عشر من سورة المجادلة.

رالآية الثالثة من سورة النساء، تحت عنوان: (المدافعون عن شريعة التعدد)، و(العناية باليتامى).

- من الآية السابعة والعشرين حتى الحادية والثلاثين من سورة المائدة.
- الآية الرابعة والخمسون من سورة الأعراف، والحديث عن صفة استواء الله تعالى على العرش. • الآية الثلاثون من سورة الأنبياء.

- من الآية الثالثة والثمانين حتى السابعة والتسعين من سورة الكهف.
- من الآية السادسة عشر حتى التاسعة عشر من سورة القيامة.
- تفسير سورة العصر. • تفسير سورة قريش.
- تفسير سورة النصر. • تفسير سورة الفلق. • تفسير سورة الناس.

← الملاحظ من خلال الحصر السابق للآيات، والسور التي قام الشيخ بتفسيرها، أن سورة البقرة قد تصدرت سور القرآن الكريم في تفسير كثير من آياتها، واستحوذت على عقل الشيخ الباقورى، فكان له معها وقفات عدة، ولعل السبب في ذلك: أنها أطول سور القرآن الكريم، ولما تشتمل عليه بكثير من الأحكام، سواء في جانب العبادات، أو المعاملات، أو الأخلاق الكريمة.

المطلب الخامس
المصادر التى استقى منها الشيخ الباقورى تفسيره

إن دراسة المصادر التي يأخذ، وينقل منها أي مفسر لكتاب الله- تعالى- تعتبر من الركائز الأساسية التي تعين الباحث على فهم، وتحديد منهج، وطريقة المفسر فى تفسيره للقرآن الكريم، ولهذا كان لزاماً على أي باحث يقوم بدراسة منهج مفسر من المفسرين أن يتعرف على أهم المصادر التي أخذ منها، ونقل عنها تفسيره، وليس الشيخ الباقورى بدعاً فى الاقتطاف من المصادر المتنوعة، فما من عالم بلغ من العلم مبلغاً إلا واقتطف من أمهات الكتب، والمؤلفات المتنوعة، والتى من خلالها يروى ظمأه، ويذهب حيرته، ويجيب على تساؤلاته، ولا أكاد أتخيل كتاباً فى التفسير، أو فى غيره قائماً بذاته، دون اعتماد على مؤلفات السابقين، ومدوناتهم.

هذا وقد تأثر الشيخ بمصادر كثيرة، ومتنوعة فأفاد منها، ومن خلال استقرائي للتفسير، جاء بعضها على النحو التالي:

١- إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، للإمام أبي السعود محمد بن محمد العمادي.
٢- البحر المحيط، للإمام محمد بن يوسف، الشهير بأبي حيان الأندلسي.
٣- التفسير الكبير، أو مفاتيح الغيب، للإمام فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي.
٤- جامع البيان عن تأويل القرآن، للإمام محمد بن جرير بن يزيد بن خالد الطبري، أبو جعفر.
٥- الجامع لأحكام القرآن، للإمام أبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي.
٦- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل، المسمى بتفسير الكشاف، للإمام أبي القاسم محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري، جار الله.
٧- مقدمة في التفسير، لأحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، أبو العباس.
٨- مجمع البيان فى تفسير القرآن للشيخ أبي على الفضل بن الحسن الطبرسي.
٩- المحرر الوجيز فى تفسير الكتاب العزيز، للإمام أبي محمد بن عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي.
١٠- أحكام القرآن، للإمام أبي بكر محمد بن عبد الله بن العربي.
١١- محاسن التأويل، جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي.
١٢- تفسير الراغب الأصفهاني، لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى.
١٣- معاني القرآن وإعرابه، لإبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج.
١٤- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، لإبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي.

١٥- لطائف الإشارات، تفسير القشيري، لعبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري.
١٦- الجواهر، للشيخ طنطاوي جوهري.
١٧- الجامع الصحيح، سنن الترمذي، للإمام محمد بن عيسى بن سورة، أبو عيسى الترمذي.
١٨- الجامع الصحيح المسند من حديث رسول الله (ﷺ)، وسننه وأيامه (صحيح البخاري) للإمام محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة، البخاري، أبو عبد الله.
١٩- الجامع الصحيح، المسمى بصحيح مسلم، للإمام مسلم بن الحجاج، أبو الحسن القشيري النيسابوري.
٢٠- سنن ابن ماجه، للحافظ أبي عبد الله محمد بن يزيد القز ويني.
٢١- سنن أبي داود، للحافظ أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني.
٢٢- مسند الإمام أحمد بن حنبل، للإمام أحمد بن حنبل، أبو عبد الله الشيباني.
٢٣- لسان العرب، للإمام محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري.
٢٤- الروض الأنف، لأبي الْقَاسِم عبد الرَّحْمَن بن عبد الله بن أَحْمد السُّهيْليّ.
٢٥- نقول عن عباس محمود العقاد.
٢٦- تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، لعبد العظيم بن الواحد بن ظافر ابن أبي الإصبع العدواني، البغدادي ثم المصري.
٢٧- زاد المعاد في هدي خير العباد، لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية.
٢٨- إعلام الموقعين عن رب العالمين، لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ٢٨- ابن قيم الجوزية.

٢٩- إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية.

٣٠- نقله عن العالم الفرنسي (جوستاف لوبون).

٣١- نقله عن الإمام جمال الدين بن نباتة المصري، من أعيان القرن الثامن الهجري.

٣٢- نقله عن مولانا أبو الكلام آزاد، العالم الهندي.

٣٣- نقله عن الإمام أَبُى بكر، مُحَمَّد بن عَليّ بن إِسْمَاعِيل الْقفال الشَّاشِي، فيما نقل عنه من المفسرين.

٣٤- نقله عن الأستاذ السيد حنفي أحمد.

٣٥- فتح الباري شرح صحيح البخاري، لأحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي.

٣٦- معانى القرآن، لأبى الحسن المجاشعي بالولاء، البلخي ثم البصري، المعروف بالأخفش الأوسط.

٣٧- تهذيب اللغة، لمحمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور.

٣٨- قصة الحضارة، للأستاذ (ول ديورانت).

٣٩- معالم تاريخ الإنسانية، للأستاذ (ويلز).

٤٠- انتصار الحضارة، للأستاذ (جيمس برستد).

٤١- نقله عن الشيخ أبى العباس أحمد القلقشندى.

٤٢- نقله عن الشيخ عبد الله الشرقاوي، شيخ الأزهر السابق.

٤٣- نقله عن الإمام العالم شهاب الدين الصنهاجي.

٤٤- السيرة النبوية، لابن هشام، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد.

٤٥- السيرة النبوية، لمحمد بن إسحاق.
٤٦- الموافقات، للقاسم بن فِيرُّه بن خلف بن أحمد الرعينيّ، أبو محمد الشاطبي.
٤٧- الأدلة، للقاسم بن فِيرُّه بن خلف بن أحمد الرعينيّ، أبو محمد الشاطبي.
٤٨- الشكر، لحجة الإسلام، أبى حامد الغزالي.
٤٩- إعجاز القرآن، لأبى بكر محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن القاسم، الباقلانى.
٥٠- دلائل الإعجاز، للعلامة عبد القاهر الجرجاني.
٥١- نقله عن الأستاذ العلامة محمد أحمد الغمراوى.

• وإليك أيها القارئ الفاضل الحديث عن فصول البحث المتمثلة في نظرات، وبيان، وتوضيح منهج الشيخ الباقورى، في القطوف التى كتبها، وألفها في مجال التفسير وعلوم القرآن، سائلاً الله (ﷻ) العون، والسند، والتوفيق، وتجنب الزلل، والخطأ ما أمكن إنه على كل شيء قدير.

الفصل الأول

الفصل الأول

موقف الشيخ الباقورى من التفسير بالمأثور

ويشتمل على أربعة مباحث:

المبحث الأول

تفسير القرآن بالقرآن

ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول

تفسيره الآية القرآنية بآية قرآنية أخرى

ومن الأمثلة الدالة عليه:

فعند تفسير الشيخ لقول الله (ﷻ): {**إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ**} الأعراف/ ٥٤، قال ضمن تفسيره لهذه الآية الكريمة:

"ومما تنبغي الإشارة إليه، أن التعرض لخلق كون الله العظيم في الآيات الشريفة، كان على سبيل الإجمال، وأن آية، أو آيات من القرآن الكريم لم تفصل ذلك كما فصلته الآيات من سورة (فصلت): {**قُلْ أَإِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْداداً ذلِكَ رَبُّ الْعالَمِينَ (٩) وَجَعَلَ فِيها رَواسِيَ مِنْ فَوْقِها وَبارَكَ فِيها وَقَدَّرَ فِيها أَقْواتَها فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَواءً لِلسَّائِلِينَ (١٠) ثُمَّ اسْتَوى إِلَى السَّماءِ وَهِيَ دُخانٌ فَقالَ لَها وَلِلْأَرْضِ ائْتِيا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قالَتا أَتَيْنا طائِعِينَ (١١) فَقَضاهُنَّ سَبْعَ سَماواتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحى فِي كُلِّ سَماءٍ أَمْرَها**

وَزَيَّنَّا السَّماءَ الدُّنْيا بِمَصابِيحَ وَحِفْظاً ذلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ (١٢)} فصلت من ٩- ١٢".[١]

فيلاحظ فى هذا المثال أن الشيخ (رحمه الله) قد فسر الآية من سورة الأعراف التي وردت على سبيل الإجمال، بالآيات من سورة فصلت والتي بينت، وفصلت ما أجملته سورة الأعراف، والتي بينت مدة خلق الله (جل جلاله) للسموات والأرض.

وعند تفسيره لقول الله (جل جلاله): **{وَالَّذِينَ اسْتَجابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقامُوا الصَّلاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْناهُمْ يُنْفِقُونَ}** الشورى/ ٣٨، قال عند قوله تعالى: **(وَأَمْرُهُمْ شُورى بَيْنَهُمْ)**: "وقد ذكر الله- تعالى- الشورى في ثلاثة مواضع:

أحدها: في سورة سماها سورة الشورى، وجرت فيها صفة الشورى مجرى الوصف بها، والثناء على أهليها.

وثانيها: في سورة آل عمران، وجرت فيها مجرى الأمر بها في قوله تعالى لرسوله (ﷺ): **{فَبِما رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ}** آل عمران/ ١٥٩.

وثالثها: في سورة البقرة، وقد جرى ذكر الشورى فيها على سبيل الإيماء، والتلميح إلى فضلها في ذلك الحوار الشريف بين الله- تعالى-، وبين ملائكته (عليهم السلام)[٢].[٣]

---

(١) انظر معاني القرآن بين الرواية والدراية، للشيخ الباقورى ص ١٦٨.

(٢) المراد بذلك قوله تعالى: **{وَإِذْ قالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قالُوا أَتَجْعَلُ فِيها مَنْ يُفْسِدُ فِيها وَيَسْفِكُ الدِّماءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لا تَعْلَمُونَ}** البقرة /٣٣..

(٣) انظر: تحت راية القرآن، للشيخ الباقورى ص ٥٤.

يتضح من هذا المثال، وما ذكره الشيخ أن فيه إشارة إلى التأكيد على أصل من أصول الحكم في الإسلام، التزمها النبي (ﷺ) في كل أمر يتعلق بأمور المسلمين العامة، وهى قاعدة الشورى، ناهيك أن من صفات المؤمنين أن يكونوا على كلمة سواء فيما بينهم من شئون، فتكون طريقهم واحدة، ويدهم واحدة، ووجهتهم واحدة، وموقفهم واحداً، وهذا لا يتحقق، إلا إذا توحدت المشاعر، ولن تتوحد المشاعر، إلا إذا تلاقت الآراء وتوحدت، ولن تتلاقى الآراء وتتوحد، إلا بالتشاور فيما بينهم، فالأمر الجامع للمسلمين يكون بالشورى، وتبادل

المطلب الثانى
استشهاده بالقرآن لبيان معنى اللفظة القرآنية

ومن أمثلته:

فعند تفسير الشيخ لقوله تعالى: **{إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ}** التوبة/ ٦٠. قال عن الفرق بين الفقير، والمسكين:

"**الفقير**: هو الذى لا يملك شيئاً أي شيء، على ما تشير إلى ذلك كلمة كليم الله موسى (عليه السلام) بعد أن سقى الغنم لبنتيّ شعيب (عليه السلام) ثم تولى إلى الظل، فقال: **{رَبِّ إِنِّي لِما أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ}** القصص/ ٢٤.

وأما المسكين: فإنه الذى يملك شئياً أي شيء، كما تشير إلى ذلك الآية الشريفة من كتاب الله: **{أَمَّا السَّفِينَةُ فَكانَتْ لِمَساكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَها وَكانَ وَراءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْباً}** الكهف/ ٧٩، فقد أطلقت الآية كلمة المسكين وصفاً على من يملك شيئاً تتلمظ[1] ==

(١) (تتلمظ) "التَّلمُّظ: والتمطُّق التذَوُّقُ، واللمْظ، والتلمُّظُ: الأَخذ باللسان ما يَبْقى في الفم بعد الأَكل، وقيل: هو تَتَبُّع الطُّعْم والتذوُّق، وقيل هو تحريك اللسان في الفم بعد الأَكل كأَنه= =يَتَتَبَّع بقيّة من الطعام بين أَسنانه، وقد يُستعار لبقية الشيء القليل"، انظر: لسان العرب،

==إليه شهوات الملوك".[1]

يتضح مما سبق أن الشيخ استدل بالآيتين السابقتين لبيان معنى كل من لفظي الفقير، والمسكين، وأورد قولاً واحداً في بيان الفرق بينهما، مع أن العلماء قد اختلفوا فيهما اختلافاً كبيراً، وسيكون لى وقفة في الفروق بينهما باستفاضة عند الحديث عن موقف الشيخ من الفروق اللغوية

وعند تفسيره لقوله تعالى: **{وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّماءَ الدُّنْيا بِمَصابِيحَ وَجَعَلْناها رُجُوماً لِلشَّياطِينِ وَأَعْتَدْنا لَهُمْ عَذابَ السَّعِيرِ}** الملك/ ٥. قال:

"**الرجم**: الرمي، وربما كان المراد به: القتل، لأن الناس كان يقتل بعضهم بعضاً بالرجم، وقد رووا: أن ابن آدم قتل أخاه رجماً بالحجارة، فلما كان أول القتل كذلك سُمى القتل رجماً، وإن لم يكن قتلاً بالحجارة، ومن ذلك قول الله تعالى: **{لَئِنْ لَمْ تَنْتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ}** يس/ ١٨، وكذلك قوله: **{وَلَوْلا رَهْطُكَ لَرَجَمْناكَ}** هود/ ٩١، أي: قتلناك، وقد يوضع موضع الشتم، كما في الآية- على لسان والد إبراهيم لولد إبراهيم-: **{لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ}** مريم/ ٤٦، أي: لأشتمنك، وقد يوضع الرجم موضع الظن، كما في الآية: **{وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْماً بِالْغَيْبِ}** الكهف/ ٢٢، أي: ظنك، والرجم- أيضاً-: اللعن، والطرد، ومنه: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، فالشيطان الرجيم هو الطريد، لأنه يطرد، يرجم الكواكب"[2]

فيلاحظ من هذا المثال أن الشيخ قد فسّر الرجم بمعان مختلفة، واستدل على كل معنى بآية من القرآن الكريم.

لمحمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري ٤٦١/٧، ط: دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى.

(١) انظر: تحت راية القرآن ص ٨٦.

(٢) انظر: مع القرآن، للشيخ الباقوري، ص ٣٦.

المبحث الثاني
تفسير القرآن بالسنة

ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول
تفسيره الآية القرآنية بالسنة

ومن الشواهد الدالة علي ذلك:

عند تفسير الشيخ لقول الله (ﷻ): **{وَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تُقْسِطُوا فِي الْيَتامى فَانْكِحُوا مَا طابَ لَكُمْ مِنَ النِّساءِ مَثْنى وَثُلاثَ وَرُباعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تَعْدِلُوا فَواحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمانُكُمْ ذلِكَ أَدْنى أَلاَّ تَعُولُوا}** النساء/ ٣، قال عند حديثه عن العناية بأمر اليتامى:

"وعن هذا الأدب الرفيع- العناية باليتامى- في كتاب الله- تعالى- كان يصدر رسول الله (ﷺ) في رفقه باليتامى، ولفته إلى الإحسان إليهم، فمن ذلك قوله (ﷺ): **{أَنَا وَكَافِلُ الْيَتِيمِ فِي الْجَنَّةِ هَكَذَا وَقَالَ بِإِصْبَعَيْهِ السَّبَّابَةِ وَالْوُسْطَى}**.[(١)][(٢)]

وقال الشيخ عند تفسيره لقوله تعالى: **{يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَدْخُلُوا بُيُوتاً غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلى أَهْلِها ذلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (٢٧)**

---

(١) انظر: الجامع الصحيح، لمحمد بن إسماعيل، أبو عبد الله البخارى ٢٢٣٧/٥، حديث رقم: ٥٦٥٩، كتاب: الأدب، باب: فضل من يعول يتيما، منحديث سيدنا سهل بن سعد،، ط: دار ابن كثير، اليمامة، بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م.

(٢) انظر: معانى القرآن، ص ١٣٥.

فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فِيها أَحَداً فَلا تَدْخُلُوها حَتَّى يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِنْ قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكى لَكُمْ وَاللَّهُ بِما تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ} النور/ ٢٨، ٢٧.

"كان الناس قد أَلفوا أن يهجموا على البيوت بغير استئذان، فتقع أعينهم على ما لا يحل لهم النظر إليه، من الأحوال التي يطويها الناس عادة عن غيرهم، ويتحفّظون من أن يطّلع عليها أحد، فجاء في هذه السورة الكريمة– سورة النور– ما يقي الناس هذا الشر.

ففي هذه الآية الشريفة، أدب رفيع يقوم فيه ضمير المسلم، مقام القاضي العادل الذى لا يخور، ولا يظلم، وقد حرص المسلمون على استصحاب هذا الأدب الرفيع، في صيانة العورات، ورعاية الحرمات، حتى أخرج البخارى، عن رسول الله (ﷺ) أنه قال: **{لَوْ أَنَّ امْرَأً اطَّلَعَ بِغَيْرِ إِذْنِكَ، فَخَذَفْتَهُ[1] بِحَصَاةٍ، فَفَقَأْتَ عَيْنَهُ، مَا كَانَ عَلَيْكَ جُنَاحٌ}**[2][3].

المطلب الثانى

استشهاده بالسنة لبيان معنى اللفظة القرآنية

ومن أدلته:

عند تفسير الشيخ لقوله تعالى: **{الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ}** الفاتحة/ ٣، قال:

---

(١) (فحذفته): أي: رميته، انظر: فيض القدير شرح الجامع الصغير، لزين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري ٣٠٧/٥، ط: المكتبة التجارية الكبرى، مصر، الطبعة: الأولى،١٣٥٦.

(٢) انظر: صحيح البخاري ٢٥٣٠/٦، حديث رق: ٦٥٠٥، كتاب: الديات، باب: من اطلع في بيت قوم ففقؤا عينه فلا دية له، من حديث سيدنا أبى هريرة (رضي الله عنه).

(٣) انظر: مع القرآن، ص ١٨٨.

"الرحمة في لغة العرب، رقة في القلب تقتضي التفضل، والإحسان، فهى كناية عن فضل الله، ورحمته، كما يشير إلى ذلك الحديث النبوى الشريف الذى أخرجه الشيخان، وفيه يقول رسول الله (ﷺ): **{جَعَلَ اللَّهُ الرَّحْمَةَ مِائَةَ جُزْءٍ، فَأَمْسَكَ عِنْدَهُ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ جُزْءًا، وَأَنْزَلَ فِي الأَرْضِ جُزْءًا وَاحِدًا، فَمِنْ ذَلِكَ الجُزْءِ يَتَرَاحَمُ الخَلْقُ، حَتَّى تَرْفَعَ الفَرَسُ حَافِرَهَا عَنْ وَلَدِهَا، خَشْيَةَ أَنْ تُصِيبَهُ}**[(١)][(٢)].

وقال الشيخ عند تفسيره لقوله تعالى: **{الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ}** الملك/ ٢.

"**الابتلاء**: الاختبار، يقول العربي: بلوت فلاناً فكان خير مَبتلُوّ، وفى الحديث الشريف: **{أعوذ بالله من جهد البلاء[(٣)]، إلا بلاء فيه غلاء}**[(٤)][(١)].

---

(١) انظر: صحيح البخارى ٢٢٣٦/٥، حديث رقم: ٥٦٥٤، كتاب: الأدب، بالب: جعل الله الرحمة في مائة جزء، الجامع الصحيح المسمى صحيح مسلم، لأبى الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري ٩٦/٨، حديث رقم: ٧١٤٨، كتاب: التوبة، باب: في سعة رحمة الله تعالى وأنها سبقت غضبه، ط: دار الجيل بيروت، دار الأفاق الجديدة، بيروت، من حديث سيدنا أبى هريرة (رضي الله عنه).

(٢) انظر: معانى القرآن، ص ٣٣.

(٣) (جهد البلاء) "وجهد الْبَلَاءِ بِفَتْحِ الْجِيمِ وَضَمِّهَا الْفَتْحُ أَشْهَرُ وَأَفْصَحُ، وَأَمَّا جَهْدُ البلاء: فروى عن ابن عمرأنه فَسَّرَهُ: بِقِلَّةِ الْمَالِ، وَكَثْرَةِ الْعِيَالِ، وَقَالَ غَيْرُهُ: هِيَ الْحَالُ الشَّاقَّةُ" انظر: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، لأبي زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي ٣١/١٧، ط: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الثانية، ١٣٩٢هـ.

(٤) قوله: (إلا بلاء فيه غلاء) لم أقف على حديث وردت فيه هذه الجملة، اللهم إلا رواية موقوفة على سيدنا عبد الله بن عمرو (رضي الله عنهما) حيث قال: "يَقُولُ الرَّجُلُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ جَهْدِ الْبَلَاءِ ثُمَّ يَسْكُتُ، فَإِذَا قَالَ ذلك: فليقل إلا بلاء فيه غلاء" وقال الألباني: صحيح الإسناد، انظر: الأدب المفرد بالتعليقات، لمحمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن= =المغيرة

المبحث الثالث
تفسير القرآن بأقوال الصحابة

ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول
تفسيره الآية القرآنية بقول الصحابي

ومن أمثلته:

من خلال معايشة الشيخ مع قوله تعالى: {**فِي الدُّنْيا وَالْآخِرَةِ وَيَسْئَلُونَكَ عَنِ الْيَتامى قُلْ إِصْلاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخالِطُوهُمْ فَإِخْوانُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ وَلَوْ شاءَ اللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**} البقرة/ ٢٢٠، قال ضمن ما أورده في تفسير هذه الآية الكريمة:

"وقد كانت ام المؤمنين عائشة (رضي الله عنها) تؤثر مخالطة اليتامى على مجانبتهم، فتقول: (إني لأكره أن يكون مال اليتيم عندى عُرّةً[٢] حتى أَخْلِطَ طعامه بطعامي، وشرابه بشرابي).

البخاري، أبو عبد الله، ص ٣٨٥، ت: سمير بن أمين الزهيري، مستفيدًا من تخريجات وتعليقات العلامة الشيخ المحدث: محمد ناصر الدين الألباني، ط: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م أما صدر هذا الحديث فقد وردت فيه روايات عدة، منها: ما روى عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: {كَانَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) يَتَعَوَّذُ مِنْ جَهْدِ البَلاَءِ، وَدَرَكِ الشَّقَاءِ، وَسُوءِ القَضَاءِ، وَشَمَاتَةِ الأَعْدَاءِ} انظر: صحيح البخارى ٢٢٣٦/٥، حديث رقم: ٥٩٨٧، كتاب: الدعوات، باب: التعوذ من جهد البلاء، صحيح مسلم ٧٦/٨، حديث رقم: ٧٠٥٢، كتاب: الذكر والدعاء والتوبة، باب: في التعوذ من سوء القضاء ودرك الشقاء.

(١) انظر: مع القرآن، ص ٢٤.

(٢) (عرة) وفلانٌ عُرّةٌ، وعارُورٌ، وعارُورةٌ، أَي: قَذِر، انظرٌ: لسان العرب٤/٥٥٥.

تذّكرأم المؤمنين في ذلك، أنها تؤثر مخالطة اليتامى نزولاً على أدب الله- تعالى-: {**وَإِنْ تُخالِطُوهُمْ فَإِخْوانُكُمْ**}(١)(٢).

وعند تفسيره لقول الله- تعالى- {**وَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تُقْسِطُوا فِي الْيَتامى فَانْكِحُوا مَا طابَ لَكُمْ مِنَ النِّساءِ مَثْنى وَثُلاثَ وَرُباعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تَعْدِلُوا فَواحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمانُكُمْ ذلِكَ أَدْنى أَلاَّ تَعُولُوا**} النساء/ ٣، قال ضمن ما ذكره عن العناية باليتامى، وكيفية الأكل، والأخذ من أموالهم بالمعروف:

"ومن الرائع المعجب في هذا الصدد، أن نذكر ما كان سيدنا عمر (ﷺ) يأخذ به نفسه، وهو أمير المؤمنين، فقد كان يقول (ﷺ): (إنى أنزلت نفسى من مال الله منزلة وليّ اليتيم، إن استغنيت استعففت، وإن افتقرت أكلت بالمعروف، فإذا أيسرت قضيت)، وهذا التورع الشديد في قربان مال اليتيم، وتحري وجوه الحِل فيه، لا جَرم يرجع إلى الوعيد الشديد في الآية الشريفة: {**إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوالَ الْيَتامى ظُلْماً إِنَّما يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ ناراً وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيراً**} النساء/ ١٠ ".(٣)

(١) انظر: جامع البيان ٣٥٥/٤، تفسير ابن كثير ٤٣٦/١.

(٢) انظر: مع القرآن، ص ١٤٨.

(٣) انظر: معالم التنزيل في تفسير القرآن، لمحيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي ٥٧٠/١، ت: عبد الرزاق المهدي، ط: دار إحياء التراث العربي، بيروت،الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ. الجامع لأحكام القرآن ٤٢/٥.

المطلب الثانى

استشهاده بقول الصحابي لبيان معنى اللفظة القرآنية

ومن نماذجه:

عند تفسير الشيخ لقول الله (ﷻ): {**الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ**} البقرة/ ٣، قال:

"فالغيب في هذه الآية على ما يرى ترجمان القرآن ابن عباس (رضي الله عنه): هو الإيمان بما جاء من الله- جل ثناؤه-[(١)].

وهو عند ابن مسعود (رضي الله عنه): ما غاب عن العباد من أمر الجنة، وأمر النار مما ذكر الله- تعالى- في القرآن[(٢)][(٣)].

---

(١) انظر: جامع البيان ٢٣٦/١، تفسير ابن كثير ٧٦/١، الدر المنثور في التفسير بالمأثور، لعبد الرحمن بن الكمال جلال الدين السيوطي ٨٣/١، ط: دار الفكر - بيروت، ١٩٩٣م.

(٢) انظر: المصادر السابقة، وهذا القول، وسابقه ذكرهما الشيخ ضمن أقوال أخرى أوردها عن بعض الصحابة، والتابعين، وقد سبقه فيها كثير من المفسرين، حيث قالوا: " وفي المراد بالغيب ها هنا ستة أقوال: أحدها: أنه الوحي، قاله: ابن عباس، وابن جريج، والثاني: القرآن، قاله: أبو رزين العقيلي، وزر بن حبيش، والثالث: الله (ﷻ)، قاله، عطاء، وسعيد بن جبير، والرابع: ما غاب عن العباد من أمر الجنة والنار، ونحو ذلك مما ذكر في القرآن، رواه: السدي عن أشياخه، وإليه ذهب أبو العالية، وقتادة، والخامس: أنه قدر الله (ﷻ)، قاله: الزهري، والسادس: أنه الايمان بالرسول في حق من لم يره"، ومن العلماء من جمع بينها، فقالوا: "فَكُلُّ هَذِهِ مُتَقَارِبَةٌ فِي مَعْنًى وَاحِدٍ لِأَنَّ جَمِيعَ الْمَذْكُورَاتِ مِنَ الْغَيْبِ الَّذِي يَجِبُ الْإِيمَانُ بِهِ" انظر: تفسير ابن كثير ٧٦/١، زاد المسير في علم التفسير، لجمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي ٢٨/١، ت: عبد الرزاق المهدي، ط: دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤٢٢هـ.

(٣) انظر: معانى القرآن، ص ٣٩.

وعند تفسيره لقوله تعالى: **{وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ}** الملك/ ١٣، قال:

"**(ذات الصدور)**: أدق الأسرار التي لا يعلمها أحد من خلق الله، والعرب تقول لما يستخفي في الأرحام: ذو بطن فلانه للذكر، وذات بطنها للأنثى، ومنه قولة سيدنا أبى بكر لأم المؤمنين عائشة- وقد كان أوصى لها وحْدها، ثم غيّر وصيته، وأشرك معها أختاً لها كانت في بطن أمها-: وإنما هما أختاكي أسماء، وذات بطن بنت خارجة[١]، أراها أنثى، أو جارية، فكانت كما قال (رضي الله عنهما) وأرضاهما على قدر ما قدما للإسلام، والمسلمين من خير لا ينسى، وبر لا يبلى[٢][٣].

(١) (بنت خارجة) بِنْتُ خَارِجَةَ، هِيَ زَوْجَتُهُ وَاسْمُهَا حَبِيبَةُ بِنْتُ خَارِجَةَ بْنِ زَيْدِ بْنِ أَبِي زُهَيْرٍ الَّذِي آخَى رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَبِي بَكْرٍ إِذْ قَدِمَ الْمَدِينَةَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) وَآخَى بَيْنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَكَانَ قَوْلُ أَبِي بَكْرٍ ظَنًّا كَالْيَقِينِ، وهَذَا مِنْهُ (ﷺ) ظن لم نخطئه فَكَانَتْ ذُو بَطْنِ بِنْتِ خَارِجَةَ جَارِيَةً أَتَتْ بَعْدَهُ فَسُمِّيَتْ أُمَّ كُلْثُومٍ، انظر: الاستذكار، لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي ٢٢٩/٧، ت: سالم محمد عطا، محمد علي معوض، ط: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

(٢) انظر: المحرر الوجيز ٤٤٢/٤، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي ٦٢٥/٣، ط: دار إحياء التراث العربي - بيروت، ت: عبد الرزاق المهدي.

(٣) انظر: مع القرآن، ص ٥٠،٥١.

المبحث الرابع
تفسير القرآن بأقوال التابعين

ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول
تفسيره الآية القرآنية بقول التابعي

ومن أمثلته:

أثناء تفسير الشيخ لقول الله- سبحانه-: **{وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّماءَ الدُّنْيا بِمَصابِيحَ وَجَعَلْناها رُجُوماً لِلشَّياطِينِ وَأَعْتَدْنا لَهُمْ عَذابَ السَّعِيرِ}** الملك/ ٥.

قال عند قوله: (رُجُوماً) "وروى عن قتادة (رحمه الله) قال: إن الله- جل ثناؤه- إنما خلق هذه النجوم لثلاث خصال: خلقها زينة للسماء الدنيا، ورجوماً للشياطين، وعلامات يُهتدى بها، فمن يتأول منها غير ذلك، فقد قال برأيه، وأخطأ حظه، وأضاع نصيبه، وتكلف ما لا علم له به.[(١)][(٢)].

وأثناء تفسيره لقوله تعالى: **{لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ (١٦) إِنَّ عَلَيْنا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ (١٧) فَإِذا قَرَأْناهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ (١٨) ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنا بَيانَهُ (١٩)}** القيامة.

قال فيما قاله: "يروى عن سعيد بن جبير من قوله (رحمه الله): إن ابن عباس (رضي الله عنهما) كان يرى الخطاب في الآية متجهاً إلى رسول الله (ﷺ)، فيقول:

---

(١) انظر: جامع البيان ٥٠٨/٢٣، الكشف والبيان عن تفسير القرآن، لأحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق ١٢/٦، ت: الإمام أبي محمد بن عاشور، ط: دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.

(٢) انظر: مع القرآن، ص ٤٦.

كان رسول الله (ﷺ) إذا نزل عليه القرآن يُحرك به لسانه إرادة أن يحفظه، وكان لا يصبر حتى يتم جبريل قراءة ما يراد وحيه إليه، مسارعة منه (عليه السلام) إلى الحفظ لئلا يتفلت منه شيء، فأمر الله- تعالى- نبيه أن ينصت حتى ينقضي وحيه إليه، ووعده بأنه آمن من تفلته بالنسيان، وغير النسيان، على ما يقول تعالى: **{إِنَّ عَلَيْنا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ}**، يعنى: علينا أن نجمعه لك في صدرك بحيث تقرأه فلا يغيب عنك منه شيء، فإذا قرأناه بلسان جبريل عليك، فاستمع له وأنصت، فكان (عليه السلام) بعد ذلك إذا أتاه جبريل بالوحي استمع، فإذا انطلق قرأه كما قرأه جبريل لا يشذ منه حرف.

وكان سعيد بن جبير إذا روى هذا الحديث يحرك شفتيه، ويقول: إنني أحرك شفتيّ كما رأيت ابن عباس يحرك شفتيه، وهو يروى لنا هذا الحديث، وكان ابن عباس حين يروى هذا الحديث لأصحابه يحرك شفتيه قائلاً: فأنا أحرك شفتيّ كما كان رسول الله (ﷺ) يحرك شفتيه.[1][2].

المطلب الثانى
استشهاده بقول التابعي لبيان معنى اللفظة القرآنية

ومن شواهده:

من خلال تفسير الشيخ لقول الله (عز وجل): **{الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْناهُمْ يُنْفِقُونَ}** البقرة/ ٣.

(١) انظر: تفسير ابن كثير ٢٨٦/٨، الأساس في التفسير،: لسعيد حوّى ٦٢٧٥/١١، ط: دارالسلام – القاهرة، الطبعة: السادسة، ١٤٢٤هـ.

(٢) انظر: معانى القرآن، ص ١٩٩.

قال: "والتابعي الجليل زِر بن حُبَيْش يرى أن الغيب هو القرآن نفسه.[١][٢].

وقال الشيخ فيما قاله عند قوله تعالى: {**إِنَّ الْإِنْسانَ لَفِي خُسْرٍ**} العصر/ ٢.

"وأما الإنسان، فالمراد به، فيما روى عن الضحاك: جماعة من المشركين، الوليد بن المغيرة، والعاص بن وائل، والأسود بن عبد المطلب، والأسود بن عبد يغوث.[٣][٤].

تم بحمد الله الانتهاء من الفصل الأول، وسأبدأ بإذن الله بالشروع في الحديث عن الفصل الثاني، والذي جاء تحت عنوان: (موقف الشيخ الباقورى من بعض قضايا علوم القرآن)

أسأل الله (ﷻ) العون، والسداد إنه نعم المولى ونعم النصير، وعليه التكلان.

(١) انظر: جامع البيان ٢٣٦/١، الدر المنثور ٤٣٥/٨، وقد ذكرنا بأن الشيح أورد أقوالاً أخرى في المراد من الغيب نقلا عن بعض الصحابة، وقلنا أيضا: بأنه قد سبقه في ذلك كثير من المفسرين، ومنهم من جمع بينها، فليراجع المثال الأول عند الاستشهاد بقول الصحابى لبيان معنى اللفظة القرآنية.

(٢) انظر: معانى القرآن، ص ٣٩.

(٣) انظر: الجامع لأحكام القرآن ١٧٩/٢٠، مفاتيح الغيب ٢٧٩/٣٢، ومن العلماء من قال: بأن المراد من الإنسان جنس الإنسان، فيراد به العموم، كما ذكر الشيخ، ومنهم من قال بأن المراد به: الكافر، بدليل الاستثناء الذى أتى بعده في قوله تعالى: **(إلا الذين ءامنوا)**، ينظر: تفسير الزمخشرى ٧٩٤/٤، البحر المحيط في التفسير، لأبى حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي ٥٣٩/١٠، ت: صدقي محمد جميل، ط: دار الفكر – بيروت، الطبعة: ١٤٢٠هـ.

(٤) انظر: معانى القرآن، ص ٢٠٥.

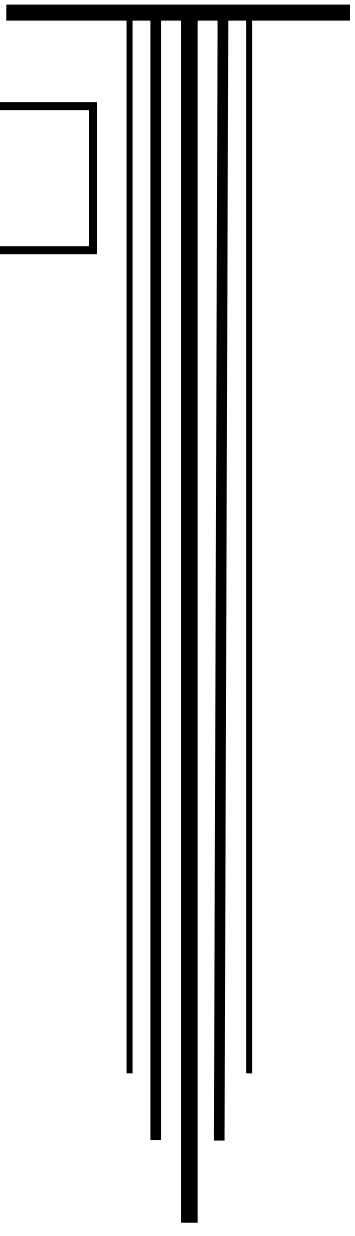

الفصل الثاني

الفصل الثاني
موقف الشيخ الباقورى من بعض قضايا علوم القرآن الكريم

مبحث علوم القرآن من الأهمية بمكان لمن أراد أن يقدم على تفسير كتاب الله (ﷻ)، ولذا فإنه يجب على المفسر قبل الشروع في التفسير أن يكون ملماً بعلوم القرآن، وما قيل فيها، من أسباب النزول، والنسخ، والقراءات، والمكي والمدني، والعام والخاص، والمطلق والمقيد، والمحكم والمتشابه، ... إلخ موضوعات علوم القرآن.

يقول الشيخ الزرقاني (رحمه الله): "ولقد أفرد العلماء كل ناحية من هذه النواحي بالبحث والتأليف ووضعوا من أجلها العلوم ودونوا الكتب وتباروا في هذا الميدان الواسع أشواطا بعيدة حتى زخرت المكتبة الإسلامية بتراث مجيد من آثار سلفنا الصالح وعلمائنا الأعلام. وكانت هذه الثروة ولا تزال مفخرة نتحدى بها أمم الأرض ونفحم بها أهل الملل والنحل في كل عصر ومصر .وهكذا أصبح بين أيدينا الآن مصنفات متنوعة وموسوعات قيمة مما يعتبر بحق أروع مظهر عرفه التاريخ لحراسة كتاب هو سيد الكتب وبات هذا المظهر معجزة جديدة مصدقة لقوله سبحانه: ﴿**إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ**﴾ الحجر/ ٩[1].

ثم قال الإمام السيوطي (رحمه الله): "وعلوم القرآن وما يستنبط منه بحر لا ساحل له، فهذه العلوم– التي هي الآلة للمفسر– لا يكون مفسراً إلا بتحصيلها، فمن فسَّر

(١) انظر: مناهل العرفان في علوم القرآن، لمحمد عبد العظيم الزُّرْقاني ١١/١، ط: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، الطبعة: الطبعة الثالثة.

بدونها، كان مفسراً بالرأي المنهي عنه، وإذا فسر مع حصولها لم يكن مفسراً بالرأي المنهي عنه".[1]

وعن موقف الشيخ تجاه هذا العلم، أقول: إن الشيخ قد اعتنى اعتناءً شديداً بعلوم القرآن، وأولاها كبير اهتمامه، فقد أورد كثيراً من مباحث علوم القرآن، وقعت وانتشرت في أجزاء متفرقة من كتاباته، مما يدل على أن الشيخ أدرك الأهمية القصوى من الوقوف على قضايا علوم القرآن والإلمام بها، لأن هذه العلوم من دورها أنها تعين المفسر على توضيح معاني آيات القرآن الكريم، وكشف اللثام عن بعض أسرارها ومكنوناتها، وبالتالي يتجنب– ما أمكن– الوقوع فى الزلل، أما تركها وعدم معرفتها تؤدى بالمفسر إلى تفسير الآيات على غير وجهها الصحيح، مما يجعل تفسيره مذموماً.

وسوف أتناول منهج الشيخ لهذه العلوم من خلال المباحث التالية:

(١) انظر: الإتقان في علوم القرآن، لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)٢١٦/٤، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط: الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة: ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م.

المبحث الأول
موقفه من المكي والمدني

اهتم الشيخ اهتماماً كبيراً بعلم المكي والمدني، وذلك من خلال كتابه: (مع القرآن)، وسيظهر ذلك من خلال العناصر التالية:

أولا: تعريفه للمكي والمدني:

"كانت مدة مقام رسول الله (ﷺ) بمكة في طور الدعوة، اثنتي عشرة سنة وخمسة أشهر، وثلاثة عشر يوماً، وما نزل من القرآن في هذه المدة، يطلق عليه: القرآن المكي.

وقد بقى (ﷺ) في المدينة بعد الهجرة، تسع سنين، وتسعة أشهر، وتسعة أيام، وما نزل من القرآن في هذه المدة، يطلق عليه: القرآن المدنى، ولو لم ينزل في المدينة"(١).

من خلال ما سبق يتضح أن الشيخ قد اقتصر على التعريف الراجح والمشهور في تعريف كل من المكي والمدني الذى جمع بين المكان، والزمان، والمخاطب، بخلاف القولين الباقيين اللّذَيْنِ نظرا إلى المكان، والزمان، وهذا ما ذهب إليه الجمهور من العلماء، حيث قالوا:

"**الاصطلاح الثالث وهو المشهور**: أن المكي ما نزل قبل هجرته (ﷺ) إلى المدينة وإن كان نزوله بغير مكة والمدني ما نزل بعد هذه الهجرة وإن كان نزوله بمكة.

وهذا التقسيم كما ترى لوحظ فيه زمن النزول وهو تقسيم صحيح سليم لأنه ضابط حاصر، ومطرد، لا يختلف بخلاف سابقيه، ولذلك اعتمده العلماء، واشتهر

(١) انظر: مع القرآن ص ٧٠،٧١.

بينهم".[1]

ثانيا: خصائص المكي والمدني:

قال الشيخ الباقورى (رحمه الله) عن خصائص القرآن المكي من خلال سورة الملك:

"إن هذه الآيات تضمنت على سبيل الإجمال، والإشارة، أموراً ثلاثة، هي خصائص سورة الملك، وما على شاكلتها من سائر السور المكية، وهذه الأمور الثلاثة هي:

أولا: الدعوة إلى الإيمان بالخالق- جل ثناؤه- قائماً هذا الإيمان على النظر في ملكوت السماوات والأرض، وعلى أن هذا النظر، مُفْض بصاحبه إلى الإيمان البصير، بأن لهذا الكون إلهاً عظيماً، خلْقُه خلقاً قائماً على تمام القدرة، وتمام الحكمة، وتمام العلم، فلا قدرة لأحد من خلقه على معاندته، أو الاستعانة عليه بذى قدرة، بالغة ما بلغت من القوة، والنفاذ:

{أَمَّنْ هذَا الَّذِي هُوَ جُنْدٌ لَكُمْ يَنْصُرُكُمْ مِنْ دُونِ الرَّحْمنِ إِنِ الْكافِرُونَ إِلاَّ فِي غُرُورٍ} الملك/ ٢٠،

ثم إنه تعالى مع هذه القدرة التي لا تُغالب، هو صاحب الفضل، والمنة، في رزقه عباده ما شاء، متى شاء، كيف يشاء، فلو أنه أمسك رزقه عن خلقه، لَمَا كان في وسع أحد، ولا في سلطانه أن يمنح رزقاً، أو يبذل عطاء: **{أَمَّنْ هذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ بَلْ لَجُّوا فِي عُتُوٍّ وَنُفُورٍ}** الملك/ ٢١.

---

(١) انظر: البرهان في علوم القرآن، لأبي عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي ١٨٧/١، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط: دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه، الطبعة: الأولى، ١٣٧٦هـ - ١٩٥٧م، الإتقان ٣٧/١، مناهل العرفان ١٩٣/١.

ثانيا: انه تعالى يضاعف أبداً فضله على عباده، فيرسل إليهم الرسل يدعونهم إلى معرفة حق الله عليهم، حتى تُظاهر رسالة الرسول في تقرير الحق الإلهي، نظر العقل المستنير في إدراك هذا الحق، والنزول على حُكْمه: **{أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ (٨) قالُوا بَلى قَدْ جاءَنا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنا وَقُلْنا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلاَّ فِي ضَلالٍ كَبِيرٍ}** الملك/ ٩، ٨.

ثالثا: أن الله- تعالى- لم يخلق هذا الخلق عبثاً، وذلك يقتضي الدعوة إلى الإيمان بالبعث، وإقامة الموازين للحساب على الأعمال، والمجازاة عليها، إن خيراً فخير، وإن شراً فشر، فالخلق- يومئذ- إما إلى جنة، وإما إلى نار: **{وَيَقُولُونَ مَتى هذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ (٢٥) قُلْ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّما أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ (٢٦) فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَقِيلَ هذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَدَّعُونَ}** الملك/ ٢٥- ٢٧.

فهذه الأمور الثلاثة، التي اشتملت عليها هذه الآيات، من تقرير الوحدانية لله، وتقرير الرسالة لمحمد (ﷺ)، وتقرير الإيمان بيوم البعث للحساب والجزاء، هي خصيصة سورة الملك، وهى- في الوقت نفسه- خصيصة سائر السور المكية في كتاب الله العظيم، وهذا هو ما أحْببنا أن نلفتك إليه، لتنتفع به أعظم الانتفاع في دراسة القرآن الكريم.

ثم قال الشيخ (رحمه الله) في تأكيد هذه الأمور الثلاثة، نقلاً عن الإمام الشاطبي (رحمه الله): "إن التنزيل المكي- في غالب الأحوال- مقرر لثلاث معان، ترجع إلى أصل واحد في الدعوة إلى عبادة الله- تعالى-، وهذه المعانى الثلاثة هي:

الأول: تَقْرِيرُ الْوَحْدَانِيَّةِ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْحَقِّ، غَيْرَ أَنَّهُ يأتي على وجوه عدة؛ كنفي الشَّرِيكِ بِإِطْلَاقٍ، أَوْ نَفْيِهِ بِقَيْدِ مَا ادَّعَاهُ الْكُفَّارُ فِي وَقَائِعَ مُخْتَلِفَةٍ، مِنْ كَوْنِهِ مُقَرَّبًا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى، أَوْ كَوْنِهِ وَلَدًا أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ مِنْ أَنْوَاعِ الدَّعَاوَى الْفَاسِدَةِ.

الثاني: تَقْرِيرُ النُّبُوَّةِ لِلنَّبِيِّ مُحَمَّدٍ (ﷺ)، وَأَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْهِمْ جَمِيعًا، صَادِقٌ فِيمَا جَاءَ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ؛ إِلَّا أَنَّهُ وَارِدٌ عَلَى وُجُوهٍ أَيْضًا؛ كَإِثْبَاتِ كَوْنِهِ رَسُولًا حَقًّا، وَنَفْيِ مَا ادَّعَوْهُ عَلَيْهِ مِنْ أَنَّهُ كَاذِبٌ، أَوْ سَاحِرٌ، أَوْ مَجْنُونٌ، أَوْ يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ، أَوْ مَا أَشْبَهَ ذَلِكَ مِنْ كُفْرِهِمْ وَعِنَادِهِمْ.

الثالث: إِثْبَاتُ أَمْرِ الْبَعْثِ وَالدَّارِ الْآخِرَةِ وَأَنَّهُ حَقٌّ لَا رَيْبَ فِيهِ بِالْأَدِلَّةِ الْوَاضِحَةِ، وَالرَّدُّ عَلَى مَنْ أَنْكَرَ ذَلِكَ بِكُلِّ وَجْهٍ يُمْكِنُ الْكَافِرُ إِنْكَارَهُ بِهِ؛ فَرَدَّ بِكُلِّ وَجْهٍ يُلْزِمُ الْحُجَّةَ، وَيُبَكِّتُ الْخَصْمَ، وَيُوَضِّحُ الْأَمْرَ، فَهَذِهِ الْمَعَانِي الثَّلَاثَةُ هِيَ الَّتِي اشْتَمَلَ عَلَيْهَا الْمُنَزَّلُ مِنَ الْقُرْآنِ بِمَكَّةَ فِي عَامَّةِ الْأَمْرِ، وَمَا ظَهَرَ بِبَادِئِ الرَّأْيِ خُرُوجُهُ عَنْهَا؛ فَرَاجِعٌ إِلَيْهَا فِي مَحْصُولِ الْأَمْرِ، وَيَتْبَعُ ذَلِكَ التَّرْغِيبُ وَالتَّرْهِيبُ، وَالْأَمْثَالُ وَالْقَصَصُ، وَذِكْرُ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ وَوَصْفُ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَأَشْبَاهُ ذَلِكَ.

ثم ضرب الشيخ أمثلة لوقوع هذه التقريرات الثلاثة لخصائص القرآن المكي، وذلك من خلال: سورة الأنعام، والزمر، ويس، والحاقة، والغاشية.(١)

والخطاب في مكة متجه أبداً إلى دعوة الناس إلى الإيمان بالخالق، الواحد الأحد، الذى لا شريك له، ولا شبيه ولا نظير، ثم هو- كذلك- متجه إلى دعوتهم إلى الإيمان بمحمد (ﷺ)، على أنه رسول من لدن رب العالمين، ثم هو متجه إلى دعوة الناس إلى الإيمان بيوم القيامة، يوماً لا شك فيه، ولا محيص عنه، تحقيقاً لعدالة الله- تعالى- التي لا يشوبها ظلم: {**وَعْدَ اللَّهِ لا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ**} الروم/ ٦.

---

(١) انظر: مع القرآن، ص ٦٧،٦٨، ثم ٨٥ – ٩٨ ، الموافقات، لإبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي ٤/٢٧٠، ت: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، ط: دار ابن عفان، الطبعة: الطبعة الأولى ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.

← "وكما كانت للقرآن المكي خصائص يشتمل عليها ويمتاز عليها، كذلك كانت للقرآن المدنى خصائص، يشتمل عليها ويمتاز بها، ولا يجد أهل العلم نُدْحة عن التعرض لها، في بيان لا يستغنى عنه مقتصد، ولا يضيق بها مجتهد إن شاء الله رب العالمين.

وفى صدد القول عن خصائص التنزيل المدني، نلفت انتباهك إلى أن القرآن هو القرآن، في نظمه، وفى غاياته ن ومقاصده، وفى دعوته الناس كافة، إلى الإيمان بهذه المعانى الثلاثة، التي اشتمل عليها التنزيل المكي، والتي لا يكون المؤمن مؤمناً إلا بها.

غير أن المجتمع الذى أنشاته الهجرة في المدينة، كانت له خصائص تفصيلية، توجهه في الأمور العبادية، وأمور الأحكام، وسائر الشئون الاجتماعية، فلم يكن بد من أن تقوم إلى جانب هذا المجتمع الوليد دولة، تزكي قيامها أصدق تزكية، وتؤيده أبلغ تأييد، تلك الكلمة الشريفة التي يأثرها الثقات عن أمير المؤمنين عثمان: (إن الله ليزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن)

والخطاب في المدينة، متوجه إلى المجتمع الجديد، لإقامة معالم الحق، والخير، والعدل، إرادة تزكية الأنفس، وتطهير الأخلاق، والبعد بها عن كل ما يفسد شأن المجتمع، ويرمى به إلى مهاوى الرذيلة، وطرائق الانحراف، كما ترى ذلك واضحاً أتم وضوح، في سورة الحجرات، وسورة النور".[1]

(١) انظر: مع القرآن، ص ١٧٩.

ثالثا: الفرق بين المكي والمدني:

يقول الشيخ (رحمه الله): "ومن أيسر ما يقوله أهل العلم في الفرق بين القرآن المكى، والقرآن المدني:

١- أن آيات المكي- على الجملة- قصار، بخلاف الآيات المدنية، وشاهد ذلك: جزء (قدسمع) فإنه كله مدني، وعدد آياته: ١٣٧، والجزء من القرآن الذى يبدأ بسورة الملك، فإنه كله مكي أيضاً، وعدد آياته: ٤٣١، وجزء (عم) فإنه مكي أيضاً، وعدد آياته: ٥٧٠، ومن ذلك: الأنفال، والشعراء، وكلتا السورتين نصف جزء من القرآن، لكن الأولى المدنية عدد آياتها: ٧٥، والثانية المكية عدد آياتها: ٢٢٧، وليس يخفى عليك أن هذا هو الطابع الغالب، وقد يوجد في بعض الآيات المكية طول، وأكثره في السور الطوال.

٢- ومن أيسر ما قيل أيضاً في الفرق بين القرآن المكي والمدنى، أن الخطاب في القرآن المدني، يغلب أن يكون النداء فيه بعنوان: (الإيمان)، **{يا أيها الذين ءامنوا}** وقلما يرد بوصف الإنسانية **{يا أيها الناس}**، وذلك على عكس الخطاب في القرآن المكي، فإنك ترى النداء فيه متوجهاً بوصف الإنسانية **{يا أيها الناس}**.

٣- وفرق ثالث يتصل بذلك الذى قررنا لك، وهو أن آيات القرآن المكي، ليس فيها شيء من التشريع التفصيلى، بل معظم ما جاء فيها، يرجع إلى المقصد الأول من الدين، وأما آيات القرآن المدني، فإنها مشتملة على تشريعات تفصيلية، وواضح أن التشريع يقتضى التطويل في أغلب الأحيان".

هذا ما ذكره الشيخ من خصائص كل من القرآن المكي، والمدني، ومن الفرق بينهما، وما أورده الشيخ في هذا الصدد سبقه إليه كثير من أهل هذا الفن، وهو مبسوط في مظانه من مؤلفات علوم القرآن.(١)

غير أن العلماء قد عقّبوا عن الفرق الثانى الذى ذكره الشيخ، بأنه غير مطرد، ولم يشمل جميع الأنواع، فقالوا:

"**إن المكي:** ما وقع خطابا لأهل مكة، والمدني: ما وقع خطاباً لأهل المدينة، وعليه يُحمل قول من قال: إن ما صدر في القرآن بلفظ **{يَا أَيُّهَا النَّاسُ}** فهو مكي، وما صدر فيه بلفظ **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا}** فهو مدني، لأن الكفر كان غالباً على أهل مكة فخوطبوا: بيا أيها الناس، وإن كان غيرهم داخلا فيهم، ولأن الإيمان كان غالباً على أهل المدينة فخوطبوا: بيا أيها الذين آمنوا، وإن كان غيرهم داخلاً فيهم أيضا، وألحق بعضهم صيغة: (يا بني آدم) بصيغة (يأيها الناس)، أخرج أبو عبيد في (فضائل القرآن) عن ميمون بن مهران قال: ما كان في القرآن: يأيها الناس، أو يا بني آدم فإنه مكي، وما كان: يأيها الذين آمنوا، فإنه مدني، وهذا التقسيم لوحظ فيه المخاطبون كما ترى لكن يرد عليه أمران:

أحدهما: من أنه غير ضابط، ولا حاصر، فإن في القرآن ما نزل غير مصدر بأحدهما، نحو قوله سبحانه في فاتحة سورة الأحزاب: **{يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ...}** إلخ، ونحو قوله سبحانه في فاتحة سورة المنافقون: **{إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ}** إلخ.

---

(١) انظر: الإتقان ٦٨/١، مناهل العرفان ١٩٦/١، المدخل لدراسة القرآن الكريم، لمحمد بن محمد بن سويلم أبو شُهبة، ص ٢٢٦، ط: مكتبه السنة – القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٣م.

ثانيهما: أن هذا التقسيم غير مطرد في جميع موارد الصيغتين المذكورتين، بل إن هناك آيات مدنية صدرت بصيغة **{يَا أَيُّهَا النَّاسُ}** وهناك آيات مكية صدرت **بصيغة {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا}**. مثال الأولى: سورة النساء فإنها مدنية وأولها **{يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ}** وكذلك سورة البقرة مدنية وفيها **{يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ}**، ومثال الثانية: سورة الحج فإنها مكية مع أن في أواخرها **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا}** إلخ.

قال بعضهم: هذا القول إن أُخذ على إطلاقه ففيه نظر، فإن سورة البقرة مدنية وفيها **{يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ}** إلى آخر ما ذكرناه أمامك، غير أنه قال أخيرا ما نصه: فإن أريد أن الغالب كذلك فصحيح.

أقول: ولكن صحة الكلام في ذاته لا تسوغ صحة التقسيم فإن من شأن التقسيم السليم أن يكون ضابطاً حاصراً وأن يكون مطرداً، وقيد الغالبية المراد لا يحقق الضبط والحصر، وإن حقق الاطراد فيبقى التقسيم معيباً، على أنهم قالوا: المراد لا يدفع الإيراد".[1]

(١) انظر: مناهل العرفان ٢٠٢/١، مباحث في علوم القرآن، لمناع بن خليل القطان، ص ٥٣، ط: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الطبعة: الطبعة الثالثة ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م.

المبحث الثاني
موقفه من أسباب النزول

أدلى الشيخ بدلوه في هذا العلم، وذلك على النحو التالي:

أولاً: أهمية سبب النزول:

قال الشيخ (رحمه الله) **نقلاً عن الإمام ابن تيمية** (رحمه الله): "ونقف بك وقفة حول أسباب النزول لآيات الكتاب الكريم، ثم نروى لك ما ذكره في هذا الباب العالم المجاهد الجليل الإمام ابن تيمية- قدّس الله روحه-، حيث ذكر أن معرفة سبب نزول الآية، أو الآيات يعين على فهمها، إذ كان العلم بالسبب يُورِث العلم بالمسبب(١)، وقد كان أشكل على بعض السلف فهم آية، فلما ذكر ابن عباس له سبب نزولها، اتضح المعنى وزال الإشكال.

وجملة القول في ذلك: أن مروان بن الحكم، قرأ الآية: **{لا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِما أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِما لَمْ يَفْعَلُوا فَلا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفازَةٍ مِنَ الْعَذابِ وَلَهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ}** آل عمران/ ١٨٨، فلما فرغ مروان من تلاوة الآية، ألقى تدبره لمعناها في نفسه شبهة، هي أن في طبيعة الناس وفطرتهم أنهم يحبون أن يُحْمَدوا بما يفعلون وبما لا يفعلون، وما دام الأمر كذلك، فإن الناس جميعاً معذبون، لأنهم جميعاً يحبون المديح لهم، والثناء عليهم، كما قال هو نفسه: **(لَئِنْ كَانَ كُلُّ امْرِئٍ مِنَّا فَرِحَ بِمَا أَتَى وَأَحَبَّ أَنْ يُحْمَدَ بِمَا لَمْ يَفْعَلْ مُعَذَّبًا لَنُعَذَّبَنَّ أَجْمَعُونَ)**(٢).

---

(١) انظر: تفسير الثعلبى ٢١٨/١، العجاب في أسباب النزول ٩٦/١، لباب النقول ٩٦/١، مناهل العرفان ١٠٩/١.

(٢) انظر: صحيح البخارى ١٦٦٥/٤، حديث رقم: ٤٢٩٢، كتاب: التفسير، باب: سورة آل عمران، صحيح مسلم ١٢٢/٨، حديث رقم: ٧٢١١، كتاب: صفات المنافقين=

ولم يكن بد لمروان أن يسْتجلى الأمر في هذا حتى تطمئن نفسه، وكان ابن عباس هو الملاذ، لذلك الجيل الطيب من أهل القرن الذى كان فيه رسول الله (ﷺ) فبعث إليه من يستوضحه المعنى في الآية، فبين له ابن عباس (رضي الله عنهما) عن شيء، فلم يصارحوه، بل أخبروه بغيره، وأروه أنهم قد أخبروه بما سألهم عنه.

وقد كان أولئك الغلاة من أهل الكتاب يستحبيون هذا التصرف الخاطئ، ويحاولون مع ذلك أن يَظفروا بحمد رسول الله إياهم، وبذلك التوضيح من ابن عباس، تحدد معنى الآية، وزال عنها ما كان يقلق مروان، ومن على شاكلة مروان(١).

ثانيا: تعدد سبب النزول:

قال الشيخ عقب تفسيره لقوله تعالى: **{يا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْناكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثى وَجَعَلْناكُمْ شُعُوباً وَقَبائِلَ لِتَعارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ}** الحجرات/ ١٣، وأنه ورد فيها أكثر من سبب:"إن تعدد أسباب نزول هذه الآية- فيما رواه الرواة عن السلف- جعل بعض العلماء يذهبون إلى القول بأن الآية نزلت عدة مرات، ولا مانع عند بعضهم من نزول الآية مرة، أو مرتين، أو مرات حسب مقتضى الأحوال، وهذا المذهب فيما يبدو لا يسهل الأخذ به، والانقياد إليه، ولا بد للنفس أن تتلفت إلى مذهب أيسر قبولاً، وأقوى محجة، وهو ما ذكره الإمام الهلوى (رحمه الله) حيث يقول:

=وأحكامهم، تفسير ابن كثير ١٦٠/٢، الدر المنثور ٤٠٣/٢، البرهان ٢٧/١، الإتقان ٨٨/١، مناهل العرفان ١١٠/١.

(١) انظر: مع القرآن، ص ١٥ – ١٧.

إن معرفة أسباب النزول من المواضع الصعبة، ووجه الصعوبة فيها، اختلاف المتقدمين، والمتأخرين حولها، والذى يظهر من إستقراء كلام الصحابة، والتابعين أنهم لا يستعملون كلمة (نزلت الآية في كذا) لمحض قصة كانت في (ﷺ)، بل ربما ذكروا بعض ما صدقت عليه الآية مما كان في زمنه، أو بعد زمنه (ﷺ)، وهم يقولون: نزلت في كذا، ولا يلزم هناك إنطباق جميع القيود، بل يكفى إنطباق أصل الحكم فقط.

وقد يذكرون حادثة تحققت في تلك الأيام المباركة، واستنبط النبى (ﷺ) حكمها من آية قرأها في ذلك الباب، فتراهم يقولون– بعد ذلك–: إن الآية نزلت في كذا، وربما قالوا: فأنزل الله قوله كذا، فكأنه إشارة إلى أنه استباطه (ﷺ)، وإلقاء الآية تلك الساعة في خاطره المبارك نوع من الوحى، ولذلك أمكن أن يقال: أنزلت الآية، ويمكن أن يعبر في هذه الصورة بتكرار النزول...والمحدثون يذكرون في ذيل آيات القرآن كثيراً من الأشياء التي ليست من قسم سبب النزول في الحقيقة، مثل: استشهاد الصحابة في مناظراتهم، أو تمثيلهم بآية، ومثل تلاوته (ﷺ) الآية للاستشهاد بها في كلامه الشريف، ومثل رواية حديث وافق الآية في أصل الغرض[1][2].

ثالثا: أقسام سبب النزول:

يقول الشيخ نقلاً أيضاً عن الإمام الهلوى (رحمه الله): "إن من جملة الآثار المروية في كتب التفسير، بيان سبب النزول، وسبب النزول على قسمين:

(١) انظر لهذا المعنى: الإتقان ١/٩٣،٩٤.

(٢) انظر: معانى القرآن، ص ٧٦.

الأول: أن تقع حادثة فيها إيمان المؤمنين، ونفاق المنافقين، كما وقع في أُحُد، والأحزاب، وقد أنزل الله- تعالى- مدح هؤلاء، وذم أولئك ليكون فَيْصَلاً بين الفريقين، وربما يقع في مثل هذا من التعريض بخصوصيات الحادثة ما يبلغ حد الكثرة، فيجب أن يذكر شرح الحادثة مختصراً ليتضح سوق الكلام في نظر القارئين.

الثاني: أن يكون معنى الآية واضحاً بعمومها، دون الحاجة إلى العلم بالحادثة التي هي سبب النزول، وذلك أن الحكم لعموم اللفظ، وليس لخصوص السبب، وإنما ذكر قدماء المفسرين تلك الحادثة قصداً إلى الإحاطة بالآثار المناسبة لتلك الآية، أو قصداً إلى بيان ما صدق عليه العموم، وليس ذكر هذا من الضروريات.

وراح الإمام (ﷺ) في تواضع جم، يقول:

وقد تحقق عند الفقير أن الصحابة، والتابعين كثيراً ما كانوا يقولون: نزلت الآية في كذا، وكذا، وغرضهم من ذلك: تصوير ما تصدق عليه الآية، وذِكْر بعض الحوادث التي تشملها بعمومها، سواء تقدمت القصة، أو تأخرت، وسواء كان ذلك إسرائيلياً، أو جاهلياً، أو إسلامياً، وسواء استوعبت جميع قيود الآية، أو بعضها، وبهذا يعلم أن للاجتهاد في هذا القسم مدخلاً، وأن للقصص المتعددة هناك سعة، فمن استحضر هذه النكتة تمكن من حل اختلاف أسباب النزول بأدنى عناية.

ذلك ما قاله الإمام الجليل، نضّر الله وجهه، ونفعنا بعلمه في الدنيا والآخرة.

وبهذا لا يكون تعدد أسباب النزول في الآية التي نحن بصددها شيئاً تَتبلْبَل به الخواطر، أو تضيق به الصدور، وذلك: أن كل سبب ذكر مما أسلفنا بيانه صالح لأن تُحْمل عليه الآية، ومعين على فهمها، ومحصل للغاية منها[1][2].

---

(١) انظر للحديث عن أقسام سبب النزول: الإتقان ٨٨/١، مناهل العرفان ١٠٦/١.

(٢) انظر: معانى القرآن، ص ٧٧.

رابعا: استشهاده بأسباب نزول صحيحة

ومن الدلائل الدالة عليه:

قال الشيخ عند قوله تعالى: **{يَسْئَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرامِ قِتالٍ فِيهِ قُلْ قِتالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرامِ وَإِخْراجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلا يَزالُونَ يُقاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطاعُوا وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كافِرٌ فَأُولئِكَ حَبِطَتْ أَعْمالُهُمْ فِي الدُّنْيا وَالْآخِرَةِ وَأُولئِكَ أَصْحابُ النَّارِ هُمْ فِيها خالِدُونَ (٢١٧) إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هاجَرُوا وَجاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ}** البقرة/ ٢١٨، ٢١٧.

"ونجمل لك ما ذكره الإمام ابن القيم (رحمه الله) في نزول هذه الآية، وهو أن رسول الله (ﷺ) بعث عبد الله بن جحش الأسدى، إلى موضع يسمى (نخلة)، وكان ذلك البعث في شهر رجب، على رأس سبعة عشر شهراً من الهجرة، وكان هذا البعث، اثنى عشر رجلاً من المهاجرين، يعتقب كل اثنين بعيراً، فوصلوا إلى بطن نخلة، يترصدون عيراً لقريش، وقد كان هذا البعث يسمي عبد الله بن جحش أمير المؤمنين، وقد كان رسول الله (ﷺ) كتب له كتاباً، وأمره أن لا ينظر فيه حتى يسير بيومين، ثم ينظر فيه بعد ذلك، فلما سار يومين (رضي الله عنه) فتح الكتاب، فإذا فيه من كلم رسول الله (ﷺ): (إذا نظرت في كتابى هذا فامض حتى تنزل نَخْلَةَ بَيْنَ مَكَّةَ، وَالطَّائِفِ، فترْصُدَ بها عيراً لقريش، وتعلم لنا من أخبارهم)، فلما قرأ الكتاب، قال: سمعاً، وطاعة يا رسول الله، ثم أخبر أصحابه بكتاب رسول الله (ﷺ)، وأخبرهم- أيضاً- أنه لا يَسْتَكْرِه أحداً على المضي معه، فمن أحب المسير معه، نهض، ومن كره ذلك، رجع إذا شاء، ثم قال للسرية: فأما أنا فناهض لما أمر به رسول الله (ﷺ)، فنهضوا كلهم، فلما كان في أثناء الطريق أَضل سعدُ بن أبى

وقاص، وعُتبة بة غَزوان، البعير الذى كان يَعْتقِبانه فتَخَلّفا في طلبه، فبعد عبد الله بن جحش، ماضياً لأمر رسول الله (ﷺ)، حتى نزل بنخلة، فمرت به عير لقريش تحمل زبيباً، وأَدْمَاً، وتجارة، وكان في العير عمرو بن الحضرمي، وعثمان، ونوفل، ابنا عبد الله بن المغيرة، والحكم بن كيسان، مولى بنى المغيرة، فتشاور المسلمون، وقالوا: نحن في آخر يوم من رجب، ولئن تركتم القوم هذه الليلة، ليدخُلُن الحرم، ولو دخلوه لامتنعوا به منكم، لئن قتلتموهم اليوم، لتقتلنهم في الشهر الحرام، فتردد القوم، وهابوا الإقدام عليهم، ثم شجّعوا أنفسهم، وأجمعوا على القتال، فرمى أحدهم عمرو بن الحضرمي فقتله، وأسروا عثمان، والحكم، وأفلت نوفل، فأعجز القوم هرباً، ثم أقبل عبد الله بن جحش، وأصحابه بالعير، والأسيرين، حتى قدموا على رسول الله (ﷺ)، فأنكر رسول الله (ﷺ) على السرية ما فعلتْ، وقد اشتد تعييب قريش وإنكارهم ذلك، وقد زعموا لأنفسهم أنهم قد وجدوا مقالاً، يُوهنون به من أمر محمد، ودعوة الإسلام، فقالوا: قد أحل محمد الشهر الحرام، وكان ذلك القول ثقيلاً، بالغ الشدة على المسلمين، حتى أنزل الله- تعالى-: **{يَسْئَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ...}**.(١)

(١) انظر: جامع البيان ٣٠٣/٤، تفسير ابن كثير ٤٣١/١، السنن الكبرى، لأبي بكر أحمد بن الحُسَين بن عليّ البيهقي ١٩٧/١٨، حديث رقم: ١٨٠٤٦، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي ط: مركز هجر للبحوث والدراسات العربية والإسلامية (الدكتور/ عبد السند حسن يمامة)، الطبعة: الأولى، ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م، زاد المعاد في هدي خير العباد، لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية ٢٥٠/٣، ط: مؤسسة الرسالة، بيروت - مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، الطبعة: السابعة والعشرون, ١٤١٥هـ /١٩٩٤م.

وقد أخرج الثقات من أهل الحديث، أن رسول الله (ﷺ) بعث رهطاً، عليهم عبد الله بن جحش، أميراً، فلقوا ابن الحضرمي، فقتلوه، وهم لا يدرون أن ذلك اليوم من شهر رجب، فقال المشركون للمسلمين: قتلتم في الشهر الحرام؟ يعيرونهم بذلك، فأنزل الله هذه الآية، فقال بعضهم: إن لم يكونوا أصابوا وزراص، فليس لهم أجر، يَعْنون: أن قتلة ابن الحضرمي هؤلاء قد وضعوا أنفسهم بين أمرين، أحلاهما: مر، وأخيرهما: شر، فإما أن يكونوا قد احتملوا الوزر، وإما أن يكونوا قد حُرموا الأجر، فأنزل الله- تعالى-: {**إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هاجَرُوا وَجاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ**}(١)(٢).

ومن خلال تفسيره لقوله تعالى: {**فِي الدُّنْيا وَالْآخِرَةِ وَيَسْئَلُونَكَ عَنِ الْيَتامى قُلْ إِصْلاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخالِطُوهُمْ فَإِخْوانُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ وَلَوْ شاءَ اللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**} البقرة/ ٢٢٠.

قال: "وفى سبب نزول هذه الآية، يقول قتادة: كان الله- تعالى- قد أنزل قبل هذه الآية، الآية من سورة الإسراء: {**وَلا تَقْرَبُوا مالَ الْيَتِيمِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ**} الإسراء/ ٣٤، فَكَبُرَتْ عليهم، إذ كانوا لا يخالطونهم في مأكل، ولا في غيره، فاشتد ذلك الأمر عليهم، فأنزل الله في ذلك رخصة لهم: {**وَإِنْ**

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم، لأبي محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم ٣٨٨/٢، ت: أسعد محمد الطيب، ط: مكتبة نزار مصطفى الباز – المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثالثة – ١٤١٩ هـ، تفسير ابن كثير ٤٣٢/١.

(٢) انظر: مع القرآن، ص ١٢٧ – ١٢٩.

تُخالِطُوهُمْ فَإِخْوانُكُمْ}[1][2].

خامسا: استشهاده بأسباب نزول صحيحة وصياغتها بالمعنى

ومن أمثلته:

عند تفسير الشيخ لقول الله (ﷻ): **{أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيامِ الرَّفَثُ إِلى نِسائِكُمْ هُنَّ لِباسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِباسٌ لَهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتابَ عَلَيْكُمْ وَعَفا عَنْكُمْ فَالْآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيامَ إِلَى اللَّيْلِ وَلا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عاكِفُونَ فِي الْمَساجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلا تَقْرَبُوها كَذلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آياتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ}** البقرة/ ١٨٧.

قال عند قوله: **{وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيامَ إِلَى اللَّيْلِ}**: "والخيطان: الأبيض، والأسود، يراد بهما في الآية الشريفة: بياض النهار، وسواد الليل.

---

(١) هذه الرواية ذُكرت عن عدد من الصحابة والتابعين، منهم قتادة، ولكن أغلب الروايات مروية عن ابن عباس (رضي الله عنهما)، يقول الحافظ ابن كثير: "وهكذا رواه أبو داود وَالنَّسَائِيُّ وَابْنُ أَبِي حَاتِمٍ وَابْنُ مَرْدَوَيْهِ وَالْحَاكِمُ فِي مُسْتَدْرَكِهِ مِنْ طُرُقٍ عَنْ عَطَاءِ بْنِ السَّائِبِ بِهِ، وَكَذَا رَوَاهُ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَكَذَا رَوَاهُ السُّدِّيُّ عَنْ أَبِي مَالِكٍ وَعَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَعَنْ مُرَّةَ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ بِمِثْلِهِ، وَهَكَذَا ذَكَرَ غَيْرُ وَاحِدٍ فِي سَبَبِ نُزُولِ هَذِهِ الْآيَةِ كَمُجَاهِدٍ وَعَطَاءٍ وَالشَّعْبِيِّ وَابْنِ أَبِي لَيْلَى وَقَتَادَةَ وَغَيْرِ وَاحِدٍ مِنَ السَّلَفِ وَالْخَلَفِ"، انظر: تفسير ابن كثير ٤٣٥/١، زاد المسير ٢٤٣/١، المستدرك ١١٣/٢، حديث رقم: ٢٤٩٩، وقال الذهبي: صحيح، أسباب نزول القرآن، لأبي الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، ص ٧٣، ت: كمال بسيوني زغلول، ط: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١١هـ.

(٢) انظر: مع القرآن، ص ١٤٥،١٤٦.

وربما غفل العربي الأصيل عن المعنى المقصود من الكلمة العربية فيجاوزه إلى المعنى الحقيقي لهما، كما حدث ذلك لعديّ بن حاتم، فيما حدّث عن نفسه، فقال (ﷺ): أتيت رسول الله (ﷺ) فعلمنى الإسلام، ونعت لى الصلوات، كيف أصلي كل صلاة لوقتها، وكذلك علمنى الصيام، فقال (ﷺ): (إذا جاء رمضان فكل واشرب حتى يتبين لك الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر ثم أتم الصيام إلى الليل)، ولم أكن أدرى ما ذاك، ففَتَلْتُ خيطين، أبيض وأسود، فوضعتهما تحت وسادى، وجعلت أنظر فيهما من الليل فأجدهما سواء لا فرق بينهما، فلما أصبحت أتيت رسول الله (ﷺ)، فقلت: يا رسول الله كل شيء أوصيتنى حَفِظْتُ، غير الخيط الأبيض من الخيط الأسود، فقال رسول الله (ﷺ): وما منعك يا ابن حاتم؟ وتبسّم- وكأنه قد علم ما فعَلْتُ- فقلت: فتَلْتُ خيطين من أبيض وأسود، وجعلت أنظر فيهما من الليل فوجدتهما سواء، فضحك رسول الله حتى بدت نواجذه، ثم قال: (إن وسادك إذن لعريض، يا ابن حاتم أنْ وَسِعَ الخيطين، إنما (ﷺ) قلت لك: من الفجر، وإنما هما ضوء النهار، وظلمة الليل)[1]

يلاحظ من خلال هذا السياق السابق أن الشيخ قد صاغ رواية هذا السبب بمعناه لا بنصه، وقد أورد الإمام البخارى، ومسلم، عَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ (ﷺ) قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ **{حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ}** قَالَ لَهُ عَدِيُّ بْنُ حَاتِمٍ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّى أَجْعَلُ تَحْتَ وِسَادَتِى عِقَالَيْنِ عِقَالاً أَبْيَضَ وَعِقَالاً أَسْوَدَ أَعْرِفُ اللَّيْلَ مِنَ النَّهَارِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ): « إِنَّ وِسَادَتَكَ لَعَرِيضٌ إِنَّمَا هُوَ سَوَادُ اللَّيْلِ وَبَيَاضُ النَّهَارِ».[2]

---

(١) انظر: تحت راية القرآن، ص ٦٦،٦٧.

(٢) انظر: صحيح البخارى ٦٧٧/٢، حديث رقم: ١٨١٧، كتاب: الصوم، باب: قول الله تعالى: **{وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ}**، صحيح مسلم ١٢٨/٣، حديث رقم: ٢٥٨٥، كتاب: الصيام، باب: بيان أن الدخول في الصوم يحصل بطلوع الفجر.

وأثناء تفسيره لقوله تعالى: **{وَيَسْئَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذىً فَاعْتَزِلُوا النِّساءَ فِي الْمَحِيضِ وَلا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ فَإِذا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ}** البقرة/ ٢٢٢.

قال: "وأول حق يجب قضاؤه لهذه الآية، بيان سبب نزولها، مهما كان السائل فرداً، أو جماعة، وسبب ذلك: أن العرب في المدينة، وما والاها كانوا قد استنوا بسنة بنى بنى إسرائيل، في تجنب مؤاكلة الحائض ومساكنتها، فسألت الصحابة رسول الله (ﷺ) عن ذلك، فأنزل الله- تعالى-: **{وَيَسْئَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذىً فَاعْتَزِلُوا النِّساءَ فِي الْمَحِيضِ.....الآية}** فأباح رسول الله (ﷺ) لأزواج الحوائض منهن كل شيء، إلا قضاء الوطر، فبلغ ذلك اليهود، فقالوا: ما يريد هذا الرجل ان يدع من أمرنا شيئاً إلا خالفنا فيه".(١)

من خلال ما سبق يجد القارئ أن الشيخ قد ساق سبب نزول هذه الآية بأسلوبه، دون ذكره لنص الرواية، مع أن هذه الرواية ذكرها الإمام مسلم في صحيحه، عَنْ أَنَسٍ، أَنَّ الْيَهُودَ كَانُوا إِذَا حَاضَتِ الْمَرْأَةُ فِيهِمْ لَمْ يُؤَاكِلُوهَا وَلَمْ يُجَامِعُوهُنَّ فِى الْبُيُوتِ، فَسَأَلَ أَصْحَابُ النَّبِىِّ (ﷺ)، النَّبِىَّ (ﷺ)، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: **{وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِى الْمَحِيضِ}** إِلَى آخِرِ الآيَةِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ): « اصْنَعُوا كُلَّ شَىْءٍ إِلاَّ النِّكَاحَ »، فَبَلَغَ ذَلِكَ الْيَهُودَ، فَقَالُوا: مَا يُرِيدُ هَذَا الرَّجُلُ أَنْ يَدَعَ مِنْ أَمْرِنَا شَيْئًا إِلاَّ خَالَفَنَا فِيهِ، فَجَاءَ أُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ، وَعَبَّادُ بْنُ بِشْرٍ فَقَالاَ يَا رَسُولَ اللَّهِ: إِنَّ الْيَهُودَ تَقُولُ كَذَا وَكَذَا، فَلاَ نُجَامِعُهُنَّ ن فَتَغَيَّرَ وَجْهُ رَسُولِ اللَّهِ (ﷺ) حَتَّى ظَنَنَّا أَنْ قَدْ وَجَدَ عَلَيْهِمَا فَخَرَجَا فَاسْتَقْبَلَهُمَا هَدِيَّةٌ مِنْ لَبَنٍ إِلَى النَّبِىِّ (ﷺ)

(١) انظر: مع القرآن، ص ١٤٩.

المبحث الثالث
موقفه من الأحرف المقطعة

كان للشيخ (رحمه الله) موقفا، وبيانا مُفَصلا تجاه حروف التجهي، يتضح ذلك عند تفسيره لقوله تعالى: {**الم (١) ذلِكَ الْكِتابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدىً لِلْمُتَّقِينَ**} البقرة/ ١، ٢، حيث قال:

"إن أول ما تنبغى ملاحظته حول هذه الآية، أن هذه الحروف المقطعة يجب نطقها بأسمائها: ألف، لام، ميم، وقد اختلف العلماء في فواتح السور:

فقال الحافظ ابن كثير: من الناس من قال: إنها مما استأثر الله بعلمه.

ومنهم من قال: إن لها معنى، فقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: إنها أسماء للسور[١]، وربما عضد هذا الرأي، ما ورد في الصحيح من أن رسول الله (ﷺ) كان يقرأ في صلاة الصبح يوم الجمعة: ألف، لام، ميم السجدة[٢]، ووجه التعبير: أن اسم السورة هو: ألف، لام، ميم السجدة.

والإمام السهيلي ممن ذهب إلى أن الحروف المقطعة في فواتح السور ذوات معان، حتى لقد ركب (رحمه الله) في رأيه هذا متن الغلو فيما يلوح للناظر، وذلك حيث يقول:

وَلِهَذِهِ الْحُرُوفِ فِي أَوَائِلِ السّوَرِ مَعَانٍ جَمّةٌ وَفَوَائِدُ لَطِيفَةٌ وَمَا كَانَ اللهُ تَعَالَى لِيُنَزّلَ فِي الْكِتَابِ مَا لَا فَائِدَةَ فِيهِ وَلَا لِيُخَاطِبَ نَبِيّهُ وَذَوِي أَلْبَابٍ مِنْ صَحْبِهِ بِمَا لَا يَفْهَمُونَ وَقَدْ أَنْزَلَهُ بَيَانًا لِلنّاسِ وَشِفَاءً لِمَا فِي الصّدُورِ فَفِي تَخْصِيصِهِ هَذِهِ الْحُرُوفَ

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير ٦٧/١.

(٢) انظر: صحيح البخارى ٣٠٣/١، حديث رقم: ٨٥١، كتاب: الجمعة، باب: ما يقرأ في صلاة الفجر، من حديث سيدنا أبى هريرة (رضي الله عنه).

الْأَرْبَعَةَ عَشَرَ بِالذِّكْرِ دُونَ غَيْرِهَا حِكْمَةٌ بَلْ حِكَمٌ وَفِي إِنْزَالِهَا مُقَطَّعَةً عَلَى هَيْئَةِ التَّهَجِّي فَوَائِدُ عِلْمِيَّةٌ وَفِقْهِيَّةٌ وَفِي تَخْصِيصِهِ إِيَّاهَا بِأَوَائِلِ السُّوَرِ وَفِي أَنْ كَانَتْ فِي بَعْضِ السُّوَرِ دُونَ بَعْضٍ فَوَائِدُ أَيْضًا، وَفِي اقْتِرَانِ الْأَلِفِ بِاللَّامِ وَتَقَدُّمِهَا عَلَيْهَا مَعَانٍ وَفَوَائِدُ وَفِي إِرْدَافِ الْأَلِفِ وَاللَّامِ بِالْمِيمِ تَارَةً وَبِالرَّاءِ أُخْرَى، ، وَلَا تُوجَدُ الْأَلِفُ وَاللَّامُ فِي أَوَائِلِ السُّوَرِ إِلَّا هَكَذَا مَعَ تَكَرُّرِهَا ثَلَاثَ عَشْرَةَ مَرَّةً فَوَائِدُ أَيْضًا، وَفِي إِنْزَالِ الْكَافِ قَبْلَ الْهَاءِ وَالْهَاءِ قَبْلَ الْيَاءِ ثُمَّ الْعَيْنُ ثُمَّ الصَّادُ من **{كهيعص}** [مَرْيَم:١] مَعَانٍ أَكْثَرُهَا تُنَبِّهُ عَلَيْهَا آيَاتٌ مِنْ الْكِتَابِ وَتُبَيِّنُ الْمُرَادَ بِهَا لِمَنْ تَدَبَّرَهَا. وَالتَّدَبُّرُ وَالتَّذَكُّرُ وَاجِبٌ عَلَى أُولِي الْأَلْبَابِ وَالْخَوْضُ فِي إِيرَادِ هَذِهِ الْمَعَانِي، وَالْقَصْدُ لِإِيضَاحِ مَا لَاحَ لِي عِنْدَ الْفِكْرِ وَالنَّظَرِ فِيهَا، مَعَ إِيرَادِ الشَّوَاهِدِ عَلَى ذَلِكَ مِنْ كِتَابٍ وَأَثَرٍ وَعَرَبِيَّةٍ وَنَظَرٍ يُخْرِجُنَا عَنْ مَقْصُودِ الْكِتَابِ وَيَنْأَى بِنَا عَنْ مَوْضُوعِهِ وَالْمُرَادِ بِهِ وَيَقْتَضِي إِفْرَادَ جُزْءٍ أَشْرَحُ مَا أَمْكَنَ مِنْ ذَلِكَ وَلَعَلَّهُ أَنْ يَكُونَ إِنْ سَاعَدَ الْقَدَرُ وَاَللهُ الْمُسْتَعَانُ وَهُوَ وَلِيّ التَّوْفِيقِ لَا شَرِيكَ لَهُ.(١)

هذا ما قاله الإمام السهيلي في كتابه (الروض الأنف)، ولو كان ما قاله (رحمه الله)، قد أُخرج للناس لكان شيئاً جليلاً، لأنه قد شقق الأمور تشقيقاً عجيباً، ولم يدع شيئاً يخطر بالذهن إلا أشار إليه ووعد أنه مفصّل القول فيه، ولعل القَدَر لم يساعده على إخراج ما كان يريد من علم.

هذا، ويقول بعض أهل العلم: إن هذه الفواتح أدوات استفتاح قرآنية، وهو قول له وجاهته، وله مبرراته، فالشعر العربي، والنثر العربي كلاهما يزخر بأدوات

(١) انظر: الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام، لأبي القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد السهيلي ٢٤٢/٤، ت: عمر عبد السلام السلامي، ط: دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة: الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.

يسمونها أدوات استفتاح، يقصد بها إلى التنبيه، واستجماع الأذهان، ولفتها إلى ما للكلام بعدها من قيمة، وما ينبغي له من الاهتمام، وإذا كان في الشعر أدوات استفتاح، وتنبيه، وفى النثر كذلك، وفى القرآن نفسه آيات تبدأ بأدوات استفتاح، وتنبيه، فإن (ألف. لام.ميم)، وما إليها في ابتداء السور هي أدوات استفتاح قرآنية، اختص بها القرآن الكريم، والمفسرون أنفسهم يطلقون عليها فواتح السور، وهم بهذا يشيرون إلى هذا المعنى، أعنى: إلى معنى أنها أدوات استفتاح، وهو معنى سهل وميسور جنح به إلى الغموض كثرة كلام الناس فيه، وما أكثر ما يتأبى البديهي، ويستغلق إذا تعاورته الألسن، وأسْرفتْ في التحكك به غرائب الأفهام.

ومن الآراء التي تسترعى النظر، ما يرويه أبو العباس محمد بن يزيد المبرد في كتابه (الكامل) عن ابن عباس، فقد سأله نافع بن الأزرق عن: **{الم (١) ذلِكَ الْكِتابُ}** فقال ابن عباس: تأويله هذا القرآن، قال المبرد: هكذا جاء، ولا أحفظ عليه شاهد عن ابن عباس، وأنا أحسبه لم يقبله إلا بشاهد، وتقديره عند النحويين إذا قال: ذلك الكتاب، أنهم كانوا قد وُعِدوا كتاباً[1]، كما جاء ذلك في سورة البقرة في قوله تعالى: **{وَلَمَّا جاءَهُمْ كِتابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِما مَعَهُمْ وَكانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكافِرِينَ}** البقرة/ ٨٩، وكذلك قوله تعالى في السورة نفسها: **{وَلَمَّا جاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِما مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ كِتابَ اللَّهِ وَراءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لا يَعْلَمُونَ}** البقرة/ ١٠١، ففي هاتين الآيتين بيان من الله– تعالى– بأنه سبحانه كان قد وعد بإنزال كتاب مصدق لما بين يديه من الكتاب،

(١) انظر: الكامل في اللغة والأدب، لمحمد بن يزيد المبرد، أبو العباس ١٦٦/٣، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط: دار الفكر العربي – القاهرة، الطبعة: الطبعة الثالثة ١٤١٧هـ – ١٩٩٧م.

ومهيمن عليه، يجئ به رسول يُصّدق الأنبياء، والمرسلين قبله، فهذا الكتاب الموعود هو الذى أشير إليه في أول سورة البقرة بالحروف الثلاثة (ألف. لاف. ميم) وكذلك سائر فواتح السور، فهذا هو الذى أراده ابن عباس في إجابته نافع بن الأزرق.

وهذا القدر من الكلام يحتاج إلى شيء من التفصيل، يقول به بعض أهل العلم، الذين لهم في كتاب الله- تعالى- نظر، واجتهاد.

قالوا: إن السور المفتتحة بالحروف المقطعة نوعان: مكي، ومدني، والسور المدنية كانت تنزل في المدينة، حيث كان أهل الكتاب يساكنون العرب فيها، فكلمة: {الم (١) ذلِكَ الْكِتابُ} سورة البقرة، **{الم (١) اللَّهُ لا إِلـهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ}** آل عمران/ ٢، ١، **{المر تِلْكَ آياتُ الْكِتابِ وَالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ وَلكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يُؤْمِنُونَ}** الرعد/ ١، إشارة إلى أن أهل الكتاب كانوا يتوقعون نبياً ذا كتاب، وهذا ما يشير إليه القرآن الكريم في قوله تعالى: **{الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِنْدَهُمْ فِي التَّوْراةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّباتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلالَ الَّتِي كانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ}** الأعراف/ ١٥٧، هذا ما يتصل بفواتح السور المدنية، وأمّا ما يتصل بفواتح السور المكية، فقد كان رسول الله (ﷺ) حين يتلو القرآن، يروح المشركون يشوّشون عليه في أصوات فاحشة، يحاولون بها صرْف الناس عن الاستماع إليه (عليه السلام)، فذلك قول الله- تعالى-: **{وَقالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لا تَسْمَعُوا لِهذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ}** فصلت/ ٢٦، ففواتح السور تقع في بدء التلاوة في الوقت الذى يقوم فيه كفار

قريش باللغو، فإذا بدأوا يَصْمتون بدأت كلمات القرآن، وأسلوبه يهيمن عليهم، ويتسلط على قلوبهم، وأفكارهم، فَيُكْرِههم على الإنصات له، والاستماع إليه.

ولا ينبغي أن يخفى على أهل النظر: أن هذه الآراء المختلفة ليس اختلافها، اختلاف تضاد، بل اختلاف تنوع، فيمكن أن تكون هذه الحروف أدوات استفتاح قرآنية، وفى الوقت نفسه تكون أسماء للسور، وفى الوقت نفسه تكون من أسماء الله (ﷻ)، وفى الوقت نفسه تكون إشارة إلى كتاب النبي الموعود بع في التوراة، والإنجيل، كذلك يمكن أن تكون- على ما ذهب إليه بعض المفسرين- إشارة إلى أن هذا القرآن الذى أعجزهم، ولم يستطيعوا أن يعارضوه، مُؤَلف من الحروف التي يعرفونها، ويألفونها، والتي تنشأ لغتهم منها، وتقوم فصاحتهم عليها، والعرب- كما أسلفت- ومن يساكنونهم من أهل الكتاب، كانوا يتوقعون نبياً، وكتاباً، فهذه الفواتح: تشير إلى أن الكتاب المنتظر- مع النبي الموعود- ليست لغته السريانية، ولا العبرانية، ولكن لغته اللغة العربية التي تتألف كلماتها من هذه الحروف"(١).

بعد الحديث عن موقف الشيخ من الحروف المقطعة، وما ذكره من أقوال، أقول:

إن هذه الدراسة قد أسفرت عن اختلاف موقف الشيخ تجاه هذه الحروف، فبعد أن أورد خمسة أقوال في المراد من هذه الحروف، وقام باعتراضه على من قال بأن لها معان، وفوائد، كما ذهب إلى ذلك الإمام السهيلي (رحمه الله) جاء في نهاية كلامه عن هذه الحروف وجمع بين الأقوال الواردة في هذه الحروف، وأن الاختلاف بينها ليس اختلاف تضاد، وإنما اختلاف تنوع.

(١) انظر: معانى القرآن، ص ٣٤ – ٣٨، تحت راية القرآن، ص ١٠١ – ١٠٣.

ومن خلال دراستى لما ورد في هذه الحروف من أقوال، وجدت أن العلماء قد أفاضوا، وأسهبوا في بيان المراد من هذه الحروف، حتى وصلوا بالنوع الثانى منها إلى بضعة وعشرين قولاً، وهى مبسوطة في مظانها في كتب التفسير وعلوم القرآن، فليرجع إليها من أراد الوقوف عليها، والاستزادة منها.[1]

وأرى: أن القول الراجح منها، أن هذه الحروف سيقت للدلالة على إعجاز القرآن الكريم، وأن الله- تعالى- تحدى بها الكافرين، مع أنها من جنس كلامهم، ولكنهم عجزوا عن الإتيان بمثلها، وإلى هذا القول ذهب كثير من العلماء، وجمع من المحققين.

(١) انظر: البرهان ١/١٧٤، الإتقان ٣/٣٠، الكشاف ١/٢٢٠، تفسير ابن كثير ١/٧١، مفاتيح الغيب ٢/٢٥٣، فتح القدير ١/٣٥، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، لمحمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي ٢/١٦٧، ط: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت – لبنان، عام النشر: ١٤١٥هـ – ١٩٩٥م، التحرير والتنوير ١/ ٢٠٧، شرح العقيدة الطحاوية، لصدر الدين محمد بن علاء الدين عليّ بن محمد ابن أبي العز الحنفي، الأذرعي الصالحي الدمشقي ١/٢٠٥، ت: شعيب الأرنؤوط – عبد الله بن المحسن التركي، ط: مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة: العاشرة، ١٤١٧هـ – ١٩٩٧م.

المبحث الرابع
موقفه من موهم الاختلاف والتناقض

لقد كان للشيخ موقف بيّن من هذا العلم، وكان له باع فى دفع ما يوهم ظاهره التعارض، حيث قام برفع هذه الإشكالات، وإزالة تلك التعارضات، ومن الشواهد التي تدل على ذلك:

المثال الأول: عند تفسير الشيخ لقوله تعالى: **{أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّماواتِ وَالْأَرْضَ كانَتا رَتْقاً فَفَتَقْناهُما وَجَعَلْنا مِنَ الْماءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلا يُؤْمِنُونَ}** الأنبياء/ ٣٠، قال ضمن ما ذكره في تفسير هذه الآية الكريمة:

"**وهنا قد يُعترض فيقول:** إن الحجة غير قائمة على الذين كفروا، ولا هي ملزمة لهم، فإنه إذا أريد من الفعل في الآية (الرؤية) فإنهم لم يَروا، بدليل قول الله- تعالى-: **{مَا أَشْهَدْتُهُمْ خَلْقَ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ}** الكهف/ ٥١، وإذا أريد منه العلم، فإنهم لم يعلموا، لأن العلم هنا من الأمور الغيبية التي لا وسيلة إلى بلوغها إلا بالإيمان بالنبوة، والسماع من الأنبياء، والكافرون لم يُحصّلوا الإيمان، ومن ثَم لم يتيسر لهم السماع الذى تقوم به الحجة عليهم، وعليه فالآية غير ملزمة، والحجة غير قائمة.

وأهل البصر بالمنطق، والقدرة على الإقناع يقولون في هذا المقام: إن المراد من الرؤية في نظم الآية، الرؤية البصرية، التي لا تخفى على أحد له عينان تنظران، وعقل يدرك، فالحجة من هذا الجانب قائمة، والآية في هذا المجال ملزمة، وكذلك الأمر فيما إذا أريد من الرؤية العلم بما يخرج عن نطاق الحواس، ويتصل بمعان تدركها العقول عن طريق المعارف، والعلوم".[١]

(١) انظر: معانى القرآن، ص ١٨٥.

من خلال هذا السياق السابق ذكره يتضح أن الشيخ قد أورد في الرؤية في قوله: (ير) قولين، أحدهما: أنها علمية، والثانى: أنها بصرية، ثم رجح الشيخ كونها بصرية، وبالتالي تقوم الحجة على الكافرين، وتلزمهم الإيمان بالله ورسوله.

ومن خلال دراستي لما ورد في هذه الرؤية، تبين لى: أن العلماء اختلفوا في تحديدها، فمنهم من قال بأنه قلبية[١]، ومنهم من قال بأنها بصرية[٢]، ومنهم من ذهب إلى أنها علمية[٣]، ومنهم من جمع بينهما[٤]، وهذا الاختلاف راجع إلى معنى (الرتق، والفتق)، فنجدهم يقولون:

"واعلم أن العلماء اختلفوا في المراد (بالرتق، والفتق) في هذه الآية على خمسة أقوال، بعضها في غاية السقوط، وواحد منها تدل له قرائن من القرآن العظيم:

القول الأول: أن معنى **{كانتا رتقا}** أي: كانت السماوات والأرض متلاصقة بعضها مع بعض، ففتقها الله وفصل بين السماوات والأرض، فرفع السماء إلى مكانها، وأقر الأرض في مكانها، وفصل بينهما بالهواء الذي بينهما كما ترى.

القول الثاني: أن السماوات السبع كانت رتقاً، أي: متلاصقة بعضها ببعض، ففتقها الله وجعلها سبع سماوات، كل اثنتين منها بينهما فصل، والأرضون كذلك كانت رتقاً ففتقها، وجعلها سبعاً بعضها منفصل عن بعض.

---

(١) انظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، لمحمد بن محمد العمادي، أبو السعود ٦٤/٦، ط: دار إحياء التراث العربي، بيروت، فتح القدير ٤٧٨/٣.

(٢) انظر: جامع البيان ٤٣٣/١٨، المحرر الوجيز ٨٠/٤.

(٣) انظر: زهرة التفاسير، لمحمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة، ص ٤٨٥٥، ط: دار الفكر العربي.

(٤) انظر: مفاتيح الغيب ١٣٦/٢٢، البحر المحيط ٤٢٤/٧، التحرير والتنوير ٥٣/١٧.

القول الثالث: أن معنى **{كانتا رتقا}** أن السماء كانت لا ينزل منها مطر، والأرض كانت لا ينبت فيها نبات، ففتق الله السماء بالمطر، والأرض بالنبات.

القول الرابع: {كانتا رتقا} أي: في ظلمة لا يرى من شدتها شيء، ففتقهما الله بالنور، وهذا القول في الحقيقة يرجع إلى القول الأول، والثاني.

القول الخامس: وهو أبعدها لظهور سقوطه- أن الرتق يراد به العدم، والفتق يراد به الإيجاد، أي: كانتا عدما فأوجدناهما، وهذا القول كما ترى".(١)

المثال الثاني: وعند تفسيره لقوله تعالى: **{قُلْ أَإِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْداداً ذلِكَ رَبُّ الْعالَمِينَ (٩) وَجَعَلَ فِيها رَواسِيَ مِنْ فَوْقِها وَبارَكَ فِيها وَقَدَّرَ فِيها أَقْواتَها فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَواءً لِلسَّائِلِينَ (١٠) ثُمَّ اسْتَوى إِلَى السَّماءِ وَهِيَ دُخانٌ فَقالَ لَها وَلِلْأَرْضِ ائْتِيا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قالَتا أَتَيْنا طائِعِينَ (١١) فَقَضاهُنَّ سَبْعَ سَماواتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحى فِي كُلِّ سَماءٍ أَمْرَها وَزَيَّنَّا السَّماءَ الدُّنْيا بِمَصابِيحَ وَحِفْظاً ذلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ}** فصلت/ ٩- ١٢، قال في أثناء تفسيره لهذه الآيات الكريمة:

"وقد يكون من الحيز في هذا المقام الإشارة إلى أنه ربما يقع في أوهام من تخفى عليهم أساليب العربية، أن في القرآن تناقضاً بين الآيات التي نصت على أن مدة خلق السماوات والأرض ستة أيام، وبين آيات سورة (فصلت) هذه، التي توهم النظر السطحى أن مدة الخلق ثمانية أيام،

ومن أجل هذا قال الزجاج: إن معنى (في أربعة أيام) في تتمة أربعة أيام، ومثال ذلك قول القائل: خرجت من البصرة إلى بغداد في عشرة أيام، وإلى الكوفة في خمسة عشر يوماً، وبقى في تتمة خمسة عشر يوماً، وعلى ذلك يكون خلق

(١) انظر: جامع البيان ٤٣٣/١٨، المحرر الوجيز ٨٠/٤، أضواء البيان ١٤٠/٤.

الأرض مستغرق يومين، ويكون تقدير أقواتها، وأرزاق أهلها، وأنهارها، وأشجارها، ودوابها، مستغرق يومين، فالجملة أربعة أيام، وبهذا يظهر معنى ما ذكره الزجاج من قوله: في تتمة أربعة أيام.

ثم قال الشيخ: وإنما ذكر الله الأرض مع السماء، وانتظمهما في الأمر بالإتيان، مع أن الأرض مخلوقة قبل السماء بيومين، لأن الله- تعالى- خلق جُرْم الأرض أولاً غير مَدْحُوَة، ثم دحاها وبسطها بعد خلق السماء، كما قال جل شأنه: {**أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقاً أَمِ السَّماءُ بَناها (٢٧) رَفَعَ سَمْكَها فَسَوَّاها (٢٨) وَأَغْطَشَ لَيْلَها وَأَخْرَجَ ضُحاها (٢٩) وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذلِكَ دَحاها (٣٠) أَخْرَجَ مِنْها ماءَها وَمَرْعاها (٣١) وَالْجِبالَ أَرْساها (٣٢) مَتاعاً لَكُمْ وَلِأَنْعامِكُمْ**} النازعات/ ٢٧- ٣٣.[1]

من خلال هذا المثال يلاحظ أن الشيخ قام بدوره فى إزالة التعارض المفهوم من ظواهر الآيات التى تتحدث عن خلق السموات والأرض أيهما خلق أولاً؟

فالعلماء قد اختلفوا فى هذا الأمر على فريقين كل فريق تمسك بظاهر الآيات:

فذهب فريق: إلى تقدم خلق السموات لقوله تعالى: ﴿**أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا. رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا. وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا. وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا**﴾ (النازعات: ٢٧- ٣٠).

وذهب آخرون: إلى تقدم خلق الأرض لقوله تعالى: ﴿ **قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ. وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلسَّائِلِينَ. ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ** ﴾ (فصلت: ٩-١١).

---

(١) انظر: معانى القرآن، ص ١٦٩،١٧٠.

وقد مال الشيخ إلى القول الأخير وهو تقدم خلق الأرض على السماء، حيث إنه (ﷻ) خلق جُرْم وجسم الأرض أولاً قبل خلق السماء ولم تكن الأرض قد دُحيت، وعلى هذا يكون لخلق الأرض مرحلتين:

الأولى: خلقها غير مدحوة، أى: غير مستوية، غير صالحة للمعيشة والحياة، وهو المراد من الإيجاد المبدئى المجرد الغير متبلور.

الثانية: دَحْوها واستوائها وجعلها صالحة للحياة والمشى فى مناكبها، وعلى هذا فلا إشكال، أو تَعارُض بين الآيات، لأن ما ورد عن تقدم خلق الأرض إنما هو في حالة كونها غير مدحوة، والآيات التي أفادت تقدم خلق السموات، إنما تفيد تقدم خلق السموات على دحو الأرض وبسطها، لا ابتداء خلقها.

المبحث الخامس
موقفه من المناسبات

إن الذى يطالع تفسير الشيخ يجد أنه اعتنى بعض الشئ بذكر المناسبات بين السورة والسورة، وبين الآيات بعضها مع بعض، ولذا فقد جاء منهجه فى تناوله للمناسبات من خلال الأمثلة التالية:

المثال الأول: من خلال معايشة الشيخ مع تفسير سورة الفاتحة، والبقرة، قال نقلاً عن الإمام الشاطبي (رحمه الله):

"إِذَا وَرَدَ فِي الْقُرْآنِ التَّرْغِيبُ قَارَنَهُ التَّرْهِيبُ فِي لَوَاحِقِهِ أَوْ سَوَابِقِهِ أَوْ قَرَائِنِهِ١ وَبِالْعَكْسِ، وَكَذَلِكَ التَّرْجِيَةُ مَعَ التَّخْوِيفِ، وَمَا يَرْجِعُ إِلَى هَذَا الْمَعْنَى مِثْلُهُ، وَمِنْهُ ذِكْرُ أَهْلِ الْجَنَّةِ يُقَارِنُهُ ذِكْرُ أَهْلِ النَّارِ، وَبِالْعَكْسِ؛ لِأَنَّ فِي ذِكْرِ أَهْلِ الْجَنَّةِ بِأَعْمَالِهِمْ تَرْجِيَةٌ، وَفِي ذِكْرِ أَهْلِ النَّارِ بِأَعْمَالِهِمْ تَخْوِيفًا؛ فَهُوَ رَاجِعٌ إِلَى التَّرْجِيَةِ وَالتَّخْوِيفِ، وَيَدُلُّ عَلَى هَذِهِ الْجُمْلَةِ عَرْض الْآيَاتِ عَلَى النَّظَرِ؛ فَأَنْتَ تَرَى أَنَّ اللَّهَ جَعَلَ الْحَمْدَ فَاتِحَةَ كِتَابِهِ، وَقَدْ وَقَعَ فِيهِ: {**اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ، صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ**} الْفَاتِحَةِ/ ٧، ٦، إِلَى آخِرِهَا، فَجِيءَ بِذِكْرِ الفريقين، ثم بُدئت سورة البقرة بذكرهما أيضًا؛ فقيل: {**هُدًى لِلْمُتَّقِين**} البقرة/ ٢، ثُمَّ قَالَ: {**إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ**} الْبَقَرَةِ/ ٦، ثُمَّ ذُكر بِإِثْرِهِمُ الْمُنَافِقُونَ، وَهُوَ صِنْفٌ مِنَ الْكُفَّارِ، فَلَمَّا تَمَّ ذَلِكَ أَعْقَبَ بِالْأَمْرِ بِالتَّقْوَى، ثُمَّ بِالتَّخْوِيفِ بِالنَّارِ، وَبَعْدَهُ بِالتَّرْجِيَةِ؛ فَقَالَ: {**فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ...**} إِلَى قَوْلِهِ: {**وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا**} الْآيَةَ، الْبَقَرَةِ٢٥، ٢٤، ثُمَّ قَالَ: {**إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهذا مَثَلاً يُضِلُّ بِهِ كَثِيراً وَيَهْدِي بِهِ كَثِيراً وَما يُضِلُّ بِهِ إِلاَّ الْفاسِقِينَ**}

البقرة/ ٢٦.[١][٢]

فالواضح من هذا المثال أن الشيخ قد استدل بما ذكره الإمام الشاطبى في وجه الارتباط بين سورتى الفاتحة والبقرة، وأن سورة البقرة تُعد بمثابة التبيين، والتفصيل لما ورد مجملاً في سورة الفاتحة.

المثال الثانى: ومن خلال معايشته لقوله تعالى: **{إِذا جاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ (١) وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْواجاً (٢) فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كانَ تَوَّاباً}** النصر/ ١- ٣، قال: "وهذه السورة- سورة النصر- تنظر إلى سورة الفتح من عدة وجوه:

الوجه الأول: التعبير عما يحدث بصيغة ما قد حدث، على عادة رب العزة في الفتح، يقول تعالى: **{إِنَّا فَتَحْنا لَكَ فَتْحاً مُبِيناً}** الفتح/ ١، وفى هذه السورة: **{إِذا جاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ}**.

الوجه الثاني: ذُكر النصر هنا بعنوان: نصر الله، وذكره هناك: بعنوان النصر العزيز، ونصر الله هو النصر العزيز، والنصر العزيز هو نصر الله.

الوجه الثالث: الاستغفار هنا في قوله: **{فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كانَ تَوَّاباً}**، والمغفرة هناك في قوله: **{لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَما تَأَخَّرَ...}** الفتح/ ٣، وفى هذا من تأكيد بشريته (ﷺ)، وصدق عبوديته لربه ما فيه، مما يجعل عناية الله- تعالى- به أمراً لا يفارقه في حال.

الوجه الرابع: دخول الناس في دين الله أفواجاً، وهو نعمة من الله عليه، وفى سورة الفتح قوله تعالى: **{وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِراطاً مُسْتَقِيماً (٢) وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ نَصْراً عَزِيزاً}** الفتح/ ٣، ٢، وهذا ذكر لتمام النعمة".[٣]

---

(١) انظر: الموافقات ١٦٧/٤.

(٢) انظر: مع القرآن، ص ٥٦،٥٧.

(٣) انظر: معانى القرآن، ص ٢٢٥.

يتضح مما سبق أن الشيخ قد ساق تناسباً، وارتباطاً وثيقاً بين سورتى الفتح، والنصر، في أن كلتا السورتين تحدثتا عن بعض الموضوعات المشتركة، كالحديث عن النصر، والاستغفار، وغير ذلك.

المثال الثالث: وفى أثناء تفسيره لقول الله (ﷻ): **{قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ}** الناس/ ١، قال: "وأما صلة هذه السورة بسورة الفلق قبلها، فإن كلاً من السورتين مشتمل على الاستعاذة بالله- تعالى- عما يُؤلم، أو يُفْضى إلى الألم، فسورة الفلق تضمنت الاستعاذة من الشر الوافد على الإنسان من الخارج، وأما سورة الناس، فقد تضمنت الاستعاذة من الشر النابع من داخل نفس الإنسان، فالشر الأول لا يدخل تحت التكليف، ولا يطلب من المكلف الكف عنه لأنه ليس من كسبه، والشر الثانى داخل تحت التكليف، ويتعلق به النهى، فهذا شر المعائب، والأول شر المصائب، والشر كله راجع إلى المعائب، والمصائب، وعلى هذا فسورة الفلق تتضمن الاستعاذة من شر المصيبات، وسورة الناس تتضمن الاستعاذة من شر العيوب التي تنشأ جميعاً عن الوسوسة ".[١]

من خلال ما سبق يظهر للقارئ أن الشيخ قام بعقد مناسبة بين المعوذتين، وأن بينهما ارتباطاً وطيداً، فكلتا السورتين تتحدث عن الاستعاذة من الشيطان، واللجوء، والاحتماء بجناب الله (ﷻ)

(١) انظر: معانى القرآن، ص ٢٤٩، ٢٥٠.

المبحث السادس
موقفه من الإسرائيليات

أما عن موقف الشيخ من الإسرائيليات فى تفسيره، فمما نلحظه على هذا التفسير أنه مقل فى ذكر الإسرائيليات، غير مولع بذكرها، وإن ذكرها أحياناً فإنه لا يذكرها على سبيل القطع بها، والجزم بصحتها.

وبالنظر أيضاً فى هذا التفسير وجدت أنه في بعض الأحيان يتعقب هذه الإسرائيليات ولا يرتضيها، وهو مما يُحمد لمؤلفه، حيث إنه لم يقع فيما وقع فيه غيره من المفسرين، فلم يتخذ من الإسرائيليات المخالفة للشرع بياناً لمجمل القرآن.

أما عن الإسرائيليات المسكوت عنها فى شرعنا، فمما يُحمد أيضاً لمؤلف التفسير أنه لا يهتم- كما يهتم غيره من المفسرين- بالأمور التي لا تغني ولا تفيد، ولا يتخذ منها تفسيراً لمجمل القرآن في الأعم الأغلب، وأحياناً أخرى يتخذ منها شرحاً لمجمل القرآن، إلى غير ذلك من الأمور المتعلقة بهذا الصدد والتي ستتضح من خلال منهجه فى تناوله للإسرائيليات، والتي جاءت من خلال المطلبين التاليين:

المطلب الأول
اسرائيليات قام بالرد عليها

ومن الأمثلة الدالة على ذلك:

المثال الأول: عند تفسير الشيخ لقول الله- تعالى-: **{إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبارَكاً وَهُدىً لِلْعالَمِينَ (٩٦) فِيهِ آياتٌ بَيِّناتٌ مَقامُ إِبْراهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كانَ آمِناً وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعالَمِينَ}**آل عمران/ ٩٧، ٩٦، قال: "ولا عبرة بما يرويه

القصاصون عن قِدَم البيت مما لم يرد به خبر موثوق عن معصوم، كقولهم: إن الكعبة نزلت من السماء وأن آدم حج إليها، وعلى ما يزعمون- أيضاً- من أن آدم عرف حواء على جبل عرفة، الذى سُمِى بهذا الاسم من أجل ذلك، بعد أن افترقا إثر هبوطهما من الجنة، وقد زعم القصاصون أن الكعبة كانت محلاة بالحجر الذى كان درَةً، وأنه إنما اسوّد بسبب استلام المذنبين إياه في أثناء الطواف، وليس يخفى أن هذه الروايات لا تعدو أن تكون مزاعم لفقهاء الزنادقة، لكى يشوّهوا بها وجه الإسلام، ولكن فضل الله- تعالى- أبى أن يستأسر لهذه الخرافات إلا ضعاف العقول من عوام الناس، فأما خواصهم، وأهل الرأي فيهم، فإنهم من ذلك بمنأى بعيد جَدِ بعيد".(١)

يلاحظ مما سبق أن الشيخ لم يُخدع بتلك الروايات الواهية التي وردت في شأن بناء البيت الحرام، وقِدَمِه، لأن أغلبها روايات متضاربة بينها من التعارض ما يجعل القارئ لها يفقد الثقة بها، ولا يطمئن إليها، ثم إنه لا يوجد بين أيدينا خبر صحيح يدلنا على ذلك

المثال الثاني: ومن خلال تفسيره لقوله تعالى: {**أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّماواتِ وَالْأَرْضَ كانَتا رَتْقاً فَفَتَقْناهُما وَجَعَلْنا مِنَ الْماءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلا يُؤْمِنُونَ**} الأنبياء/ ٣٠، قال:

"وحول انفصال السماوات عن الأرض، وانفصال السماوات بعضها عن بعض حتى أصبحت سبعاً، وانفصال الأرض بعضها عن بعض حت أصبحت سبعاً كذلك، يقول بعض الناس، فيما حكاه القتبي عن إسماعيل بن أبى خالد في شرح الآية، كلاماً هو بالأساطير أشبه، فذلك حيث يقول: كانت السماء مخلوقة وحدها

(١) انظر: نظم الدرر ٦/٨، التحرير والتنوير ٦٣٢/٣٠.

والأرض مخلوقة وحدها، ففتق من هذه سبع سموات، ومن هذه سبع أرضين، خلق الأرض العليا فجعل سكانها الجن والإنس، وشق فيها الأنهار وأنبت فيها الأثمار، وجعل فيها البحار، وسمّاها رعاء، عرضها مسيرة خمسمائة عام، ثم خلق الثانية مثلها في العرض والغلظ وجعل فيها أقواماً، أفواههم كأفواه الكلاب وأيديهم أيدي الناس، وآذانهم آذان البقر وشعورهم شعور الغنم، فإذا كان عند اقتراب الساعة ألقتهم الأرض إلى يأجوج ومأجوج، واسم تلك الأرض الدكماء، ثم خلق الأرض الثالثة غلظها مسيرة خمسمائة عام، ومنها هواء إلى الأرض، الرابعة خلق فيها ظلمة وعقارب لأهل النار مثل البغال السود، ولها أذناب مثل أذناب الخيل الطوال، يأكل بعضها بعضا فتسلط على بني آدم، ثم خلق الله الخامسة مثلها في الغلظ والطول والعرض فيها سلاسل وأغلال وقيود لأهل النار، ثم خلق الله الأرض السادسة واسمها ماد، فيها حجارة سود بهم، ومنها خلقت تربة آدم (عليه السلام)، تبعث تلك الحجارة يوم القيامة وكل حجر منها كالطود العظيم، وهي من كبريت تعلق في أعناق الكفار فتشتعل حتى تحرق وجوههم وأيديهم، فذلك قوله (عز وجل): {**وقودها الناس والحجارة**} التحريم/ ٦، ثم خلق الله الأرض السابعة واسمها عربية وفيها جهنم، فيها بابان اسم الواحد: سجين واسم الآخر: الفلق، فأما سجين فهو مفتوح وإليه ينتهي كتاب الكفار، وعليه يعرض أصحاب المائدة وقوم فرعون، وأما الفلق فهو مغلق لا يفتح إلى يوم القيامة".

ومضى القتبي يروى من هذه الأساطير ما لا تنهض به حجة، ولا يقوم عليه دليل، وهذه الأقوال وأشباهها، ليس لها من كتاب الله- تعالى- سند، ولا من كلام نبيه (عليه السلام) معتمد، ولا هي منسوبة إلى فقه من الأسلاف، وتدوينها في كتب التفسيرعلى أنها مرادة لله- تعالى- من الأمور التي ينبغي أن يتحرج الغيارى على كتاب الله من تدوينها في كتبهم، كما ينبغي أن تضيق بها صدورهم.

وإذا كان لا بد من تفصيل ما انطوت عليه الآية من إجمال، فمن الخير أن يقف المسلم في هذا مع كتاب الله- تعالى- فيما يتصل بالآيات الكونية فيه، والقرآن يفسر بعضه بعضاً، وقد قال تعالى: **{وَلَقَدْ خَلَقْنا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرائِقَ وَما كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غافِلِينَ}** المؤمنون/ ١٧، كما قال جل شأنه: **{الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَياةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ (٢) الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَماواتٍ طِباقاً مَا تَرى فِي خَلْقِ الرَّحْمنِ مِنْ تَفاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرى مِنْ فُطُورٍ}** الملك/ ٣، ٢، ففي الآيتين معان واضحة عن السماوات، وأنها طبق فوق طبق، بعضها فوق بعض، كما يقرر ذلك شيخ المفسرين، ابن جرير، ويؤيده قول أبى عبيد: إن العرب تسمى كل شيء فوق شيء طريقة، وهم يقولون في ذلك: طارقت الشئ، أي: جعلت بعضه فوق بعض.

ولسنا ندرى لماذا يتنكب كثيرمن المفسرين طريق القرآن في تعبيره عن السماوات بأنها طرائق، أو طباق بعضها فوق بعض، مع أن هذه التعبيرات واضحة بينة، لا غموض فيها، ولا إبهام، ولا يترتب على اعتقادها ما يناقض عقلاً، أو يدافع علماً كشف عنه عالم في معمل، أو راصد في مرقب، ثم لماذا يلوذ القتبى، وأمثاله برواية تلكم الأساطير التي لا تتفق مع جلال القرآن، والتي لم يقم عليها دليل من عقل، أو نقل، والتي يراها الغيارى على كتاب الله ضرباً في آفاق الوهم، ومجالات الظنون، دون حاجة ماسة، ولا ضرورة ملحاح؟ مع أن كل ما ورد في القرآن عن تعدد الأرضين لم يزد على هذه الآية من سورة الطلاق: **{اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَماواتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْماً}** الطلاق/ ١٢".[١]

---

(١) انظر: معانى القرآن، ص ١٨٨ – ١٩٠.

من خلال هذا المثال نلحظ أن الشيخ قد أبدع، وأفاض، وأجاد في تفنيد، وإبطال ما ورد في هذه الآية من خرافات، وأباطيل واهية، سوّد بها بعض المفسرين تفاسيرهم، وبعد البحث والدراسة، لم أجد إلا الإمام القرطبى الذى أورد تلك الرواية[1]، وقد نقلها عنه الشيخ، فقد نقل عنه الكثير من الأقوال، وأقول إضافة لما ذكره الشيخ:

إن ما نقله عن الإمام القرطبى (رحمه الله) فيه تزايدات، وإضافات لم يفصح عنها القرآن الكريم، ولم يفصل منها شيئاً، كذلك ليس عليها دليل صحيح عن النبي (ﷺ)، ولا نملك وسيلة نحدد فيها أحد الممكنات، أو نرجح أحد الاحتمالات، ناهيك عن أن التحديد والترجيح لا يقدم لنا أي فائدة، أو حكمة، فهذه من مبهمات القرآن التي لم يفصح عنها شيئاً، فهى من قبيل الإسرائيليات التي نُقلت ولم يثبت نقلها، ، وليس لها مكان إلا فى عالم الخيال والأساطير، ولا يوجد صلة بين ما ذكره الشيخ وبين تفسير هذه الآية الكريمة، لهذا فإننا نرفض تلك التفصيلات، لأنها من الأمور الغيبية التي لا يعلمها إلا الله.

وقد أسلفت الحديث فيما سبق عن القول الصحيح في هذه الآية الكريمة، وما ذهب إليه جمهور المحققين، عند حديثي عن رفع ما يوهم ظاهره التناقض في كتاب الله (عز وجل)، وذلك عند المثال الأول.

(١) انظر: الجامع لأحكام القرآن ٢٨٣/١١.

المطلب الثانى
اسرائيليات لم يقم بالرد عليها

ومنها:

المثال الأول: عند تفسيره لقوله تعالى: **{وَقُلْنا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلا مِنْها رَغَداً حَيْثُ شِئْتُما وَلا تَقْرَبا هذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونا مِنَ الظَّالِمِينَ}** البقرة/ ٣٥، قال:

"وقد اختلف أهل التأويل في عين الشجرة التي نُهى آدم عن أكل ثمرها، فقال بعضهم: هي السنبلة، او البُر، وعن ابن عباس: أنها الكرمة، واللفظ المروى عن جعدة بن هبيرة: أنها العنب، وفى رواية عنه قال: الشجرة التي نُهى عنها آدم، هي شجرة الخمر، وعن أهل العلم، أنها التينة".(١)

بعد هذا الكلام الذي ذكره الشيخ، فيما يتعلق بالشجرة أقول: فيما سبق قولان:

القول الأول: إن القرآن الكريم لم يفصح، ولم يعين لنا ماهية هذه الشجرة، ولو كان فى تعيينها فائدة تعود على المسلمين، لما أخفاها القرآن الكريم، بل لأطلعنا عليها الله (ﷻ) وبينها لنا، وما دام لم يبينها فلا يمكن لنا الخوض فى تحديدها من تلقاء أنفسنا.

فالأولى والأسلم هو التفويض، والتسليم بأن الله- تعالى- نهى سيدنا آدم (عليه السلام) وزوجه عن الأكل من هذه الشجرة التي جعلها الله لهما امتحاناً واختباراً، دون إطلاق العنان لتخيلات لم يرد ما يثبتها أو يؤكد نوعها وماهيتها، وأنه يجدر بالمسلم أن يقف عند ظاهر اللفظ القرآني.

القول الثاني: إنه لم يرد نص صريح، أو خبر صحيح عن النبي (ﷺ) يبين لنا صحة تعيين هذه الشجرة.

---

(١) انظر: معانى القرآن، ص ٥٣.

كما أن كثيراً من المفسرين أبوا أن يبحثوا عن ماهية هذه الشجرة، وكان هذا هو الأحوط والأسلم، ومن بينهم الإمام ابن جرير الطبري (رحمه الله) حيث قال:

"إن الله- جل ثناؤه- نهى آدمَ وزوجته عن أكل شجرة بعينها من أشجار الجنة دون سائر أشجارها، فخالفا إلى ما نهاهما الله عنه، فأكلا منها كما وصفهما الله- جل ثناؤه- به، ولا علم عندنا أي شجرة كانت على التعيين، لأن الله لم يَضَع لعباده دليلاً على ذلك في القرآن، ولا في السنة الصحيحة، فأنَّى يأتي ذلك؟

وقد قيل: كانت شجرة البر، وقيل: كانت شجرة العنب، وقيل: كانت شجرة التين، وجائز أن تكون واحدة منها، وذلك عِلمٌ، إذا عُلم لم ينفع العالمَ به علمه، وإن جهله جاهل لم يضرَّه جهلُه به".(١)

وقد أكد هذا الكلام أيضاً وعضده الإمام الرازي (رحمه الله) حيث قال بعد أن عدَّد الأقوال فى المراد من الشجرة:

"واعلم أنه ليس في الظاهر ما يدل على التعيين فلا حاجة أيضاً إلى بيانه لأنه ليس المقصود من هذا الكلام أن يعرفنا عين تلك الشجرة وما لا يكون مقصوداً في الكلام، لا يجب على الحكيم أن يبينه بل ربما كان بيانه عبثاً، لأن أحدنا لو أراد أن يقيم العذر لغيره في التأخر فقال: شغلت بضرب غلماني لإساءتهم الأدب لكان هذا القدر أحسن من أن يذكر عين هذا الغلام ويذكر اسمه وصفته، فليس لأحد أن يظن أنه وقع ههنا تقصير في البيان".(٢)

المثال الثاني: وعند تفسيره للآية سالفة الذكر أيضاً، قال:

"إن آدم (عليه السلام) حين أُسكن الجنة، كان يمشى فيها وحْشاً، ليس له زوجة يسكن إليها، فنام نومة، فاستيقظ، فإذا عند رأسه امرأة قاعدة خلقها الله- تعالى- من

(١) انظر: جامع البيان ١/٥٢٥.

(٢) انظر: مفاتيح الغيب ٣/٤٥٤.

ضلعه، كما في الحديث الشريف، فسألها: من أنتِ؟ قالت: امرأة، قال: ولم خُلقْتِ؟ قالت: لتسكن إلى، فقال عند ذلك: لحْمى، ودمى، وروحى، وسكن إليها ".

بعد هذا السياق الذى أورده الشيخ، أقول:

إن هذا الخبر أورده الإمام الطبرى في تفسيره، حيث قال: حدثني به موسى بن هارون، قال: حدثنا عمرو بن حماد، قال: حدثنا أسباط، عن السُّدّيّ، عن أبي مالك، وعن أبي صالح، عن ابن عباس، وعن مُرَّة، عن ابن مسعود، وعن ناس من أصحاب النبي (ﷺ): فأخرِج إبليسُ من الجنة حين لعن، وأسكِن آدم الجنة، فكان يمشي فيها وَحْشًا ليس له زوج يسكن إليها، فنام نومة فاستيقظ، وإذا عند رأسه امرأة قاعدةٌ خلقها الله من ضلعه، فسألها: من أنت؟ فقالت: امرأة، قال: ولم خلقت؟ قالت: تسكن إليّ، قالت له الملائكة- ينظرون ما بلغ علمه-: ما اسمها يا آدم؟ قال: حواء، قالوا: ولم سُميت حواء؟ قال: لأنها خلقت من شيء حيّ، فقال الله له: **{يا آدمُ اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رَغدًا حيث شئتما}**.(١)

كما أخرجه الإمام السيوطى، وعزاه إلى ابن جرير، وابن أبي حاتم، والبيهقى في الأسماء والصفات، وابن عساكر.(٢)

وللحكم على هذا الخبر أقول:

إن هذا الخبر من الدخيل، لأن في سنده (عمرو بن حماد القناد)

"قال عنه أبو داود: كان من الرافضة، وقال الساجي: يتهم في عثمان، وعنده مناكير".(٣)

---

(١) انظر: جامع البيان ٥١٣/١.

(٢) انظر: الدر المنثور ١٢٧/١.

(٣) انظر: تهذيب التهذيب، لأبي الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني ٢٣،٢٢/٨، ط: مطبعة دائرة المعارف النظامية، الهند، الطبعة: الطبعة الأولى، ١٣٢٦هـ.

كما أن في سنده (أسباط بن نصر)

"قال عنه أبو حاتم: سمعت أبا نعيم يضعفه، وقال: أحاديثه عامية، سقط، مقلوب الأسانيد، وقال النسائي: ليس بالقوى، وقال الساجي: روى أحاديث لا يتابع عليها، وقال البيهقي: منكر".(١)

كما أن في سنده (السدى) وهو محمد بن مروان، السدى الصغير، وسلسلة سنده هذه معروفة عند علماء الجرح والتعديل بالضعف، وقد قال عنه العلماء:

"قال عنه الدورى: عن ابن معين: ليس بثقة، وقال أبو حاتم: ذاهب الحديث، لا يكتب حديثه البتة، وقال البخاري: سكتوا عنه، لا يكتب حديثه البتة، وقال ابن نمير: ليس بشئ، وقال عبد السلام بن حازم عن جرير بن عبد الحميد: كذاب".(٢)

إذا كان هذا هو حال (محمد بن مروان) السدى الصغير، فلا ثقة إذاً في مروياته، ولا يجوز أن يخدع القارئ بكل ما ورد عنه في التفسير، بل عليه أن يعرض ما ورد عنه على ميزان النقد، فإن كان صحيحاً قَبِلَه، وإن كان سقيماً أعرض عنه، وتركه.

ناهيك عن أن مثل هذه المرويات لا يُحَدِث بها صحابي، لأنها من الأمور الغيبية التي لا يحدث بها إلا نبيّ.

(١) انظر: تهذيب التهذيب، لأبي الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني ٢١١/١،٢١٢، ط: مطبعة دائرة المعارف النظامية، الهند، الطبعة: الطبعة الأولى، ١٣٢٦هـ.

(٢) انظر: المصدر السابق ٣٢٨/٦، ميزان الاعتدال في نقد الرجال، لشمس الدين محمد بن أحمد الذهبي ٤٣٦/٩، ت: الشيخ/ علي محمد معوض والشيخ/ عادل أحمد عبدالموجود، ط: دار الكتب العلمية، سنة النشر ١٩٩٥م، بيروت.

المبحث السابع
موقفه من ظاهر القرآن وباطنه

من خلال معايشتي مع تفسير الشيخ لاحظت أنه اعتني بقضية (ظاهر القرآن وباطنه) وأولاها كبير اهتمامه في مواطن عدة من خلال مؤلفاته، وبسط القول فيها، وسيتضح ذلك من خلال ما يلي:

قال (رحمه الله) تحت عنوان: (القرآن بين الظاهر والباطن):

"من الناس من يرى أن للقرآن ظاهراً، وباطناً، وربما استندوا في رأيهم هذا إلى بعض الأحاديث، والآثار، فعن الحسن البصري، عن النبى (ﷺ) أنه قال: "ما انزل الله آية إلا ولها ظهر وبطن "وإذ قد كان الظهر بمعنى الظاهر، فقد فسروه بأنه هو ظاهر التلاوة، وما يبتدر الأذهان من المسائل البيانية، والمنازع البلاغية، فإذا فهم القارئ الفرق بين كلمة (ضيّق) في الآية: **{وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً}** الأنعام/ ١٢٥، – فكلمة (ضيق) مأخوذة من الضيق، وهى من أوزان لغوية تدل على الثبوت والدوام في حق من يريد الله أن يضله–، وبين كلمة (ضائق) في الآية: **{فَلَعَلَّكَ تارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحى إِلَيْكَ وَضائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ}** هود/ ١٢، – فكلمة (ضائق) مأخوذة من الضِيق، وهى من أوزان لغوية تدل على الحدوث والتجدد، بمعنى أن هذا الضيق في هذه الآية، أمر عارض لرسول الله (ﷺ)، فقد ظفر عن طريق هذا الفرق وأمثاله بظاهر القرآن، وليس يخفى أن عجز العرب عن معارضة القرآن ناشئ من هذه الاعتبارات وأمثالها، مما لا يدركه الحصر، ولا يطمع في الإحاطة به وتجليته على وجه الحق بيان هذا.

وأما البطن، بمعنى الباطن، فهو الفهم عن الله- تعالى- مراده من الخطاب، وهذا الفهم هو الذى يطلق عليه أهل العلم بالقرآن: اسم الفقه، على ما تشير إلى ذلك الآية من سورة النساء:

{أَيْنَما تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ وَإِنْ تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هذِهِ مِنْ عِنْدِكَ قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَمالِ هؤُلاءِ الْقَوْمِ لا يَكادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثاً} النساء/ ٧٨، فقد نفت الآية عن أولئك المخاطبين أنهم يفقهون، وإذا كان الفقه، معنى زائداً عن الفهم، فإن نفى الفقه لا يلزم منه نفى الفهم، وإلا فإن القرآن منزل بلسانهم، فغير معقول أن يكون المنفى عنهم فهمهم لغتهم، إذ كان كل أحد يفهم لغته التي ورثها عن أبويه، وازداد بصره بها، وفهمه إياها عن بيئته التي يحيا بين سمعها وبصرها، وإنما الذى نفاه الله عن هؤلاء هو الباطن، وهو السر، وهو مراد الله من الكلام، ويزيدك اطمئناناً إلى هذا المعنى، أن تقرأ قول الله- جل ثناؤه-: **{أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافاً كَثِيراً}** النساء/ ٨٢، فظاهر المعنى في هذه الآية شيء، هم عارفون به، لأنهم عرب، والمراد منها شيء آخر، هو الذى لا شك فيه وأنه من عند الله، وإذا حصل التدبر لم يوجد في القرآن اختلاف البتة، إذ كان الاختلاف إنما جاء من الوقوف عند بعض الظواهر وضرب بعضها ببعض، دون تدبر في فقه النصوص حتى تتفق في المقصود منها عن طريق أن بعضها يفسر بعضاً، بتخصيص، أو تقييد، أو تعميم، وما إلى ذلك من وجوه الفهم التي ترشد إليها المقاصد الشرعية وسائر أدوات الفهم، فهذا الوجه الذى ينشأ عنه الاتفاق في مقاصد النصوص، وينزاح به الاختلاف، هو الباطن المقصود لأهل العلم، والمطلوب للفقهاء بالقرآن في هذا الباب الشريف من أبواب البيان.

ونضرب لك مثلاً يتضح به المقام مزيد اتضاح:

فعن ابن عباس (رضي الله عنهما) قال: كان عمر يدخلني مع أصحاب رسول الله (ﷺ) فقال له عبد الرحمن بن عوف: أتدخله معنا ولنا أبناء مثله؟ فقال له عمر: يا عبد الرحمن، إنه من علمت- يعني: أنه ترجمان القرآن، وأنه قد استجيب لرسول الله (ﷺ) دعاؤه له في فهمه وحسن تأويله-، وذات يوم دعا أمير المؤمنين بعبد الله بن عباس، فأدخل عليه في مجلسه مع أصحاب رسول الله (ﷺ)، ثم سأل عمر: ماذا تفهمون في قول الله- تعالى- **{إِذا جاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ}** النصر/ ١، فقال بعض القوم: إن الله ذكر لنبيه أنه ناصره، وفاتح عليه مكة، فإذا حصل هذا ليحمد محمد ربه، وليستغفره إذا كان الله قد نصره وأظفره بالمشركين، ثم توجّه عمر بالسؤال نفسه إلى ابن عباس، فأجابه بقوله: إنما هو أجل رسول الله (ﷺ) أعلمه الله إياه، وقرأ السورة إلى آخرها، فقال عمر: والله ما أعلم منها إلا ما تعلم، فظاهر هذه السورة: أن الله أمر نبيه أن يسبح بحمد ربه ويستغفره إذ نصره وفتح عليه، وباطنها: أنه نعى إلى رسول الله (ﷺ) نفسه.

ولما نزل قوله تعالى: **{الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلامَ دِيناً}** المائدة/ ٣، الآية، فرح أصحاب رسول الله (ﷺ) إلا عمر، فإنه بكى وهو يقول لمن فرح من أصحابه: ما بعد الكمال إلا النقصان، فما عاش رسول الله (ﷺ) بعد نزول هذه الآية إلا واحداً وثمانين يوماً، ثم لحق بالرفيق الأعلى، عليه أتم الصلاة، وأزكى السلام.

غير أن من الحق علينا أن نلفتك إلى ما لَفَتَنا إليه أسلافنا الصالحون، من أن الملاحدة، وأهل الأهواء، حاولوا أن يستغلوا هذا المعنى في القرآن أخطر استغلال، حتى كانوا يجعلون القرآن الكريم، لفظاً بلا معنى، أو جسماً بلا روح، فذلك حيث قالوا في تأويل الآية: **{وَوَرِثَ سُلَيْمانُ داوُدَ}** النمل/ ١٦، أن المراد: أن الإمام من آل البيت وِرْثِ النبي، فجعلوا داود هو النبي، وجعلوا سليمان هو الإمام من آل البيت، وجعلوا هذا الإمام وارثاً عِلْمَ رسول الله (ﷺ).

وذكروا في تأويل (التيمم)، أنه: الأخذ من المأذون له، إلى أن يظهر الداعي، أو الإمام فيؤخذ عنه، وفسروا (الصيام) في القرآن، بأنه: كتمان أسرار الدعوة الباطنية، والإمساك عن الكشف عنها، والإذاعة بأسرارها، وفسروا (الكعبة)، بأنها: النبي، والباب، بأنه: عليّ، وفسروا (الصفا)- أيضاً- بأنه: النبي، (والمروة)، بأنها: عليّ، وفسروا (التلبية) في الحج، بأنها: إجابة الداعي إلى الإمام من آل البيت، وفسروا (الطواف سبعاً)، بأنه: الطواف بمحمد إلى تمام الأئمة السبعة، وفسروا (نار إبراهيم)، بأنها: غضب النمروذ عليه، فليست هي ناراً حقيقة، وفسروا (عصا موسى)، بأنها: حجته، وآيته التي لَقَفتْ شبه سحرة فرعون، وفسروا (المن) في القرآن، بأنه: عِلْم نزل من السماء، كما فسروا (السلوى) بأنها: داع من الدعاة إلى المذهب، وفسروا (تسبيح الجبال) بالرجال الشُداد في الدين، (والجن) الذين ملكهم سليمان، بأنهم: باطنية ذلك الزمان، وأما (الشياطين) فهم: الظاهرية الذين يأخذون بظواهر القرآن، وفسروا الآية: {اذْهَبْ إِلى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغى} النازعات/ ١٧، فذكروا أن المراد (بفرعون) هو القلب، وراجع في هذا الباب كتاب: (الأدلة) للشاطبي، وكتاب (الشكر) لحجة الإسلام الإمام الغزالي.

فهذه التفسيرات يجب ردها لسببين:

أولهما: عدم جريانها على مقتضى الظاهر في المقرر في لسان العرب.

وثانيهما: عدم وجود شاهد في موضع آخر يشهد لصحتها.

وهذان السببان قائمان فيما ذهب إليه الإمام السهيلي[1]، ولهذا وجب قبول ما ذهب إليه، ولا نشك أنه (رحمه الله) لم يكن في هذا الباب مبتدعاً، ولكنه كان متبعاً.

غير أن ها هنا أمراً يقتضينا الإنصاف للأفاضل من المتصوفة، وأرباب الأحوال أن نشير إليها، وهو أن ثَمّة فرقاً بين أهل الفضل من أرباب الأحوال،

(١) انظر: الموافقات ٤/٢٣٢ - ٢٣٤.

وبين أهل الزيغ من أهل الأهواء، وذلك الفرق، أن الزائفين يزعمون لأنفسهم، وللآخذين عنهم أن المعانى الباطنة، هي المرادة من آيات القرآن، فأما الصادقون من المتصوفة، وأرباب الأحوال، فإنهم يذكرون أن الظاهر المتبادر إلى أذهان البُصَرَاء باللغة، ومقاصد الشريعة هو المراد من الآيات الشريفة، سوى أن آيات الكتاب، إذا تدبرها من يحسن الفهم عن الله مراده، فإنه يجد في نفسه معنى يشبه المعنى الذى يتجلى في الآيات الشريفة، فلا يرى مانعاً من أن يفهم هذا المعنى، ليس على أنه هو معنى الآية، ولكن على معنى أنه يقارن في ذهن المتدبر للقرآن المعنى االمراد بالآية، واعتبر هذا في قول الله- تعالى-: **{إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ (٢٩) وَإِذا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغامَزُونَ (٣٠) وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلى أَهْلِهِمُ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ (٣١) وَإِذا رَأَوْهُمْ قالُوا إِنَّ هؤُلاءِ لَضالُّونَ (٣٢) وَما أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حافِظِينَ (٣٣) فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ (٣٤) عَلَى الْأَرائِكِ يَنْظُرُونَ (٣٥) هَلْ ثُوِّبَ الْكُفَّارُ مَا كانُوا يَفْعَلُونَ}** المطففين/ ٢٩- ٣٦، ففي هذه الآيات- على ما ترى- تصوير لأحوال كفار قريش ورؤسائها من أهل العصبية، وأرباب السلطان، حيث كانوا كلما مرّ بمجالسهم في نواديهم ضعفاء المؤمنين وفقرائهم، ضحكوا منهم، وهزأوا بهم، وتغامزوا عليهم، ثم رجعوا- بعد ذلك- إلى أصحابهم، وأهليهم فرحين سعداء مستبشرين، طيبة بما فعلوا نفوسهم، قريرة به أعينهم، منشرحة إليه صدورهم، ولما كان العدل الإلهى يقتضى أن يكون الجزاء من جنس العمل، قررت الآيات الشريفة أن تَصَرُف أولئك المجرمين في استخفافهم بفقراء المؤمنين في الدنيا، يناظره جزاء مثله لهم في الآخرة، حيث يكونون بموضع هوان بعد الكبرياء والتعزز، فيكون المؤمنون على الأرائك ينظرون إليهم، ويتغامزون عليهم، وهم يضحكون منهم، فذلك ثوابهم في أخراهم، جزاء على ما كانوا يأتونه في دنياهم.

فهذا هو المعنى الصريح الظاهر الذى يتبادر إلى الأذهان العربية، لأول ما يقرأ القارئ، أو يصغى السامع إلى هذه الآيات في هذا النظم الشريف، ولكن سادتنا من المتصوفة، وأرباب الأحوال، يفهمون لأنفسهم، أو يقرأون لمريديهم، أن في الآيات معنى إشارياً يقوم على أن أعداء المتصوفة من أولئك الذين تأخذهم العزة بالإثم، يتعاملون مع فقراء الصوفية، كما كان يتعامل كفار قريش مع ضعفاء المؤمنين من أصحاب رسول الله (ﷺ) فالكبراء المعاصرون يستخفون بفقراء المتصوفة، ويضحكون منهم، ويستهزئون بهم، ويتغامزون عليهم، وكأن سادتنا هؤلاء، يريدون من ذلك القول- إن كانوا يقولونه- أن يُحرّضوا مريديهم على الثبات في موطن السخرية بهم، اقتداء بأصحاب رسول الله (ﷺ)، وستكون العاقبة الحسن لهم، كما كانت العاقبة الحسنى لأصحاب رسول الله (ﷺ)، فانتصر الخير، وانهزم الشر، وظفر المؤمنون برحمة الله، وباء الظالمون بالخسران المبين، والعاقبة خير وأبقى، وعند الله- أبداً- جزاء المتقين الصابرين من الذين ءامنوا وعلى ربهم يتوكلون".[1]

من خلال ما سبق يتبين موقف الشيخ تجاه قضية الظاهر والباطن في القرآن الكريم، وأنه رفض قضية باطن القرآن المخالف للشروط التي وضعها العلماء، والتي اتخذت منها بعض الفرق باباً لتفسير القرآن الكريم على الوجه الغير لائق به، والتي تخدم أغراضهم، وأهوائهم، وساق (رحمه الله) بعض الأمثلة الواهية على ذلك، وأيضاً أورد بعض الأمثلة على التفسيرالباطن لبعض الآيات القائم على الفهم، والفقه، والاستنباط الغير مخالف لظاهر القرآن.

(١) انظر: تحت القرآن، ص ١٨ – ٢٤، معانى القرآن، ص ١٠٢،١٠٣.

المبحث الثامن
موقفه من الناسخ والمنسوخ

صرف الشيخ عنايته بهذا العلم الجليل بالدراسة والبحث من جوانبه المختلفة، فعقد بحثاً مستقلاً به، تكلم فيه عن موضوعات متعددة تتعلق بالنسخ.

ومن خلال معايشتى مع هذا التفسير وجدت أن صاحبه قد اعتنى ببيان الناسخ والمنسوخ فى كثير من الآيات مستأنساً فى ذلك بأقوال بعض المفسرين، عازياً بعض هذه الأقوال إلى قائليها.

ولكن من الملاحظ أن الشيخ من خلال الأمثلة التي أوردها في باب النسخ، رجح وقال بعدم نسخها، مقفتفياً في ذلك نهج أبى مسلم الأصفهاني على طول الخط، سواء أكان ذلك راجحاً، أم مرجوحاً- وهو مما يؤخذ عليه-، وسوف يتضح ذلك من خلال المطلبين التاليين:

المطلب الأول
مخالفته لرأى الجمهور في عدم القول بالنسخ

وقد سلك الشيخ هذا المسلك في كثير من الآيات التي ساقها في باب النسخ، ونهَج نَهْجَ أبى مسلم الأصفهاني[1]، ومن الأمثلة الدالة على ذلك:

---

(١) ينظر ذلك عند تفسيره لقوله تعالى:{**كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْراً الْوَصِيَّةُ لِلْوالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ**} البقرة/١٨٠، انظر: معانى القرآن، ص ٦٣، وكذلك قوله تعالى: {**وَاللاَّتِي يَأْتِينَ الْفاحِشَةَ مِنْ نِسائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِنْكُمْ فَإِنْ شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّى يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلاً**} النساء/١٥، انظر: معانى القرآن، ص ٧٨.

المثال الأول: عند تفسير الشيخ لقوله تعالى: {**وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجاً وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ مَتَاعاً إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ مِنْ مَعْرُوفٍ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**} البقرة/ ٢٤٠، قال:

"جمهور المفسرين على أنها منسوخة، وهم يقولون: إن الأمر في ابتداء الإسلام كان على أن الرجل إذا مات لم يكن لامرأته من ميراثه شيء إلا النفقة، والسكنى مدة سنة، وكان الحول عزيمة عليها في الصبر عن التزوج، ولكنها كانت مخيرة في أن تعتد في بيت الزوج إن شاءت، وإن شاءت خرجت قبل الحول، ولكنها متى خرجت سقطت نفقتها.

وبهذا يظهر أن الآية الكريمة توجب أمرين:

أحدهما: وجوب النفقة، والسكنى من مال الزوج مدة سنة.

وثانيهما: وجوب الاعتداد مدة سنة لأن وجوب السكنى، والنفقة من مال البيت سنة، توجب المنع من التزوج بزوج آخر في هذه السنة.

قال الجمهور: ثم إن الله- تعالى- نسخ هذين الحكمين، أعنى: الوصية بالنفقة، والوصية بالسكنى، وذلك لأن القرآن دل على ثبوت الميراث لها، ولأن السُنة دلت على أنه لا وصية لوارث، فصار الأمران، أعنى: القرآن والسنة جميعاً ناسخين للوصية بالنفقة والسكنى للزوجة في الحول.

وأما العدة بالحول فهى منسوخة بقوله تعالى: {**يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْراً**} البقرة/ ٢٣٤.

كذلك يقول أكثر المتقدمين والمتأخرين من المفسرين.

هذا، ويقول مجاهد- وهو من أعيان المفسرين- في صدد هذه الآية:

إن الله- تعالى- أنزل في عدة المتوفى عنها زوجها آيتين، إحداهما: قوله سبحانه: {**وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجاً يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ**

وَعَشْراً فَإِذا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلا جُناحَ عَلَيْكُمْ فِيما فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاللَّهُ بِما تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ} البقرة/ ٢٣٤، والآية الأخرى هي هذه الآية: **{وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْواجاً وَصِيَّةً لِأَزْواجِهِمْ مَتاعاً إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْراجٍ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلا جُناحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ مِنْ مَعْرُوفٍ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ}** البقرة/ ٢٤٠.

يقول مجاهد: إن الزوجة إذا لم تختر السكنى في دار زوجها ولم تأخذ النفقة من ماله، فإن عدتها أربعة أشهر وعشرا، على ما تقرره الآية المتقدمة، وأما إذا اختارت السكنى في دار زوجها والأخذ من ماله وتركته، فإن عدتها هي الحول، وتنزيل الآيتين على هذين التقريرين أولى، حتى تكون كل آية منهما معمولاً بها، والإعمال أولى من التعطيل.

والذين يطيب لهم أن ينزهوا كتاب الله عن النسخ، يتلقون رأى مجاهد هذا بارتياح عظيم.

وإذا كان رأى مجاهد بهذه المنزلة من نفوس المسلمين الذين يؤثرون عدم النسخ في القرآن العظيم، فإنهم أشد إرتياحاً، وأبْينُ سعادة، أو ينبغي أن يكونوا كذلك حين يستعرضون رأى الإمام الجليل أبى مسلم الأصفهاني في هذه الآية، فإنه (رحمه الله) قد بسط القول فيها ونأى بها عن النسخ نأياً شديداً، فقال (رحمه الله):

إن معنى الآية: إن الذين يتوفون ويذرون أزواجاً وقد وصوا وصية لأزواجهم بنفقة الحول، ومسكن الحول، فإن خرجن قبل ذلك وخالفن وصية الزوج بعد أن يقمن المدة التي ضربها الله- تعالى- لهن، فلا حرج فيما فعلن في أنفسهن من معروف- يعنى الزواج الصحيح- لأن إقامتهن بهذه الوصية غير لازمة، وسبب ذلك: أنهم كانوا في زمان الجاهلية يوصون بالنفقة والسكنى حولاً كاملاً، وكان

يجب على المرأة الاعتداد بالحول، فبين الله- تعالى- في هذه الآية أن ذلك غير واجب، وعلى هذا التقدير فالنسخ زائل.

ويحتج الإمام لرأيه هذا بوجهين:

أحدهما: أن النسخ خلاف الأصل، فوجب المصير إلى عدمه بقدر الإمكان.

وثانيهما: أن يكون الناسخ متأخراً عن المنسوخ في النزول، وإذا كان متأخراً عنه في النزول، كان الأحسن أن يكون متأخراً عنه في التلاوة أيضاً، لأن هذا الترتيب أحسن، فأما تقدم الناسخ على المنسوخ في التلاوة، فإنه- مع جوازه في الجملة- معدود من سوء الترتيب، ويجب تنزيه كلام الله عنه... ولما كانت هذه الآية: {**وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْواجاً وَصِيَّةً**} متأخرة في التلاوة عن الآية الأخرى: {**وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْواجاً يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ**} كان الولى ألا يُحكم بكونها منسوخة بتلك.

هذا وقد ثبت في علم أصول الفقه أنه متى وقع التعارض بين النسخ وبين التخصيص، فإن التخصيص يكون أولى، فإن نحن خصصنا هاتين الآيتين بالحالتين على ما هو قول مجاهد، فإن النسخ يندفع، ويكون المصير إلى قول مجاهد أولى من التزام النسخ بغير دليل.

على أن الأمر في قول أبى مسلم أوضح وأظهر، وذلك إن في الآية تقديراً لا بد منه لكى نفهم، والتقدير عند غير أبى مسلم: (فعليهم وصية لأزواجهم، أو فليوصوا وصية لأزواجهم) وبهذا يضيف أهل هذا التقدير الحكم إلى الله- تعالى-، فأما أبو مسلم فإنه يقدر تقديراً آخر، هو (والذين يتوفون منكم ولهم وصية لأزواجهم، أو قد أوصوا وصية لأزواجهم) فهو يضيف هذا الكلام إلى الزوج، وإذا

كان لا بد من الإضمار، فليس إضمار غير أبى مسلم أولى من إضمار أبى مسلم، بل إن إضمار أبى مسلم أخلق بالواقع، وأدنى إلى الفهم".[1]

من خلال هذا المثال تبين أن الشيخ تحدث عن قضية النسخ فى هذه الآية، وأن هذه الآية قد ورد فيها قولان، أحدهما قال بالنسخ، والآخر قال بعدمه، كما قال أبو مسلم الأصفهانى، وقد رجح الشيخ القول الثانى الذى قال به أبو مسلم، ونافح عنه من أجل إثبات صحته.

المثال الثانى: وعند تفسيره لقوله تعالى: **{يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذا ناجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْواكُمْ صَدَقَةً ذلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ وَأَطْهَرُ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (١٢) أَأَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْواكُمْ صَدَقاتٍ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكاةَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِما تَعْمَلُونَ}** المجادلة/ ١٣، ١٢، قال:

"والعلماء بكتاب الله- تعالى- يذهبون حيال هذه الآية مذهبين:

فبعضهم يقول: أنها منسوخة، نسخ آخرها أولها، وليس لقائل أن يقول: كيف ينسخ آخر الآية أولها، وآخرها متصل بأولها؟ فإن العلماء لا يرون مانعاً من ذلك، لأنه لا يلزم من كون الآيتين متصلتين في التلاوة أنهما مصلتان في النزول، وهذا كما في الآية الدالة على وجوب الاعتداد بأربعة أشهر وعشر، من حيث كانت ناسخة للاعتداد بحول، وإن كان الناسخ متقدماً في التلاوة على المنسوخ.

(١) انظر: معانى القرآن، ص ٦٤ – ٦٦.

وربما بالغ بعض القائلين بالنسخ، فقالوا: إن تكليف المؤمنين تقديم الصدقة عند مناجاة الرسول (ﷺ) لم يستمر إلا ساعة من النهار ثم نُسخ، كما هو قول الكلبي، وقال مقاتل: إن ذلك التكليف بقى عشرة أيام، ثم نسخ.

وقد روى عن علىّ (رضي الله عنه) قال: إن في كتاب الله الآية، ما عَمل بها أحد قبلي، ولا يعمل بها أحد بعدى..... كان لى دينار فاشتريت به عشرة دراهم، فكلما ناجيت رسول الله (ﷺ) قدمت بين يدى نجواى درهماً، ثم نُسخت الآية فلم يعمل بها أحد.

وفى ضوء هذه الروايات عن الكلبي، ومقاتل، وعليّ، حيال هذه الآية لا بد من وقفة نسأل فيها القائلين بالنسخ في القرآن: إنكم برَرّتم النسخ بأن الخالق– تعالى– قد ربّى هذه الأمة العربية في ثلاث وعشرين سنة، تربية تدريجية لا تتم لغيرها بواسطة الفواعل الاجتماعية في قرون عديدة، وبهذا كانت تنزل عليهم الأحكام بحسب قابليتها، ومتى ارتقت قابليتها بدّل الله ذلك الحكم، فهل يستقيم مع منطقكم هذا، أن يأمر الله هذه الأمة بحكم، ثم ينسخه بعد ساعة، أو بعد عشرة أيام، أو لا يَعمل به إلا فرد واحد، ثم يُنسخ؟

هذا، والإمام الجليل أبو مسلم الأصفهاني (رحمه الله) ينكر النسخ في الآية جرياً على مذهبه في إنكار النسخ في القرآن، ويقول في هذه الآية:

إن المنافقين كانوا يمتنعون عن بذل الصدقات، وإن قوماً من المنافقين تَخَلَوا عن نفاقهم، وأخلصوا إيمانهم لله ظاهراً وباطناً، فكانوا مؤمنين إيماناً خالصاً، وأراد الله– تعالى– أن يميزهم عن المنافقين، فأمر بتقديم الصدقة على النجوى، ليتميز هؤلاء الذيم آمنوا إيماناً حقيقياً عمن بقى على نفاقه الأصلى، قال (رحمه الله): وإذا كان هذا التكليف لأجل هذه المصلحة المقدرة بذلك الوقت، لا جرم يُقَدَر هذا التكليف بذلك الوقت.

وقد أراد صاحب (مفاتيح الغيب) أن يزيد كلام الإمام أبى مسلم وضوحاً، فقال:

وحاصل قول أبى مسلم: ذلك التكليف كان مقدراً بغاية مخصوصة، فوجب انتهاؤه عند الانتهاء من الغاية المخصوصة، فلا يكون هذا نسخاً.

قال صاحب المفاتيح: وهذا الكلام حسن ليس به بأس.

ولا يرتاب منصف لنفسه، مُكْرِم لها عن البقاء في مواطن التقليد في أن نسخ آيات من القرآن ما لم تَدْعُ إليه الضرورة الملحة إنما هو حلاف الأصل، وأن الأصل هو عدم النسخ، فإذا استطاع عالم جليل، أو علماء أجلاء من أمثال الإمام أبى مسلم الأصفهاني أن يَحْملوا الآيات الموسومة بالنسخ على أنها غير منسوخة، فلا شك في أن هذا أدنى إلى الخير، وأشبه بالحق، وأقرب إلى الاعتقاد، ولا شك أيضاً في أن حمل معنى آيات النسخ على نسخ الشرائع السابقة بشريعة الإسلام، أشد وفاقاً لكون هذه الشريعة خاتمة الشرائع، وكون محمد رسول الله (ﷺ) خاتم النبيين والمرسلين، ذلك ما يصح للإنسان أن يعتقده في نفسه، وأن يدعو الآخرين إلى اعتقاده، فذلك أحكم، وأسلم، وهو الطريق السوى إن شاء الله، والله المستعان، وهو حسبنا ونعم الوكيل"(١).

من الملاحظ أن الشيخ كما هو ديْدَنه تبع مذهب أبى مسلم الأصفهاني في القول بعدم النسخ في هذه الآية الكريمة، والآيات الأخرى التي أوردها في مجال النسخ، سواء أكان ذلك راجحاً، أو مرجوحاً، رغم أن القول بأن عجز قوله تعالى: **(أَأَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ)** إلخ الآية، نسخ أولها، ونسخ قوله تعالى فى الآية التى قبلها: **(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ وَأَطْهَرُ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ)**، فقد كان على المسلم قبل حديثه مع

(١) انظر: معانى القرآن، ص ١١١،١١٢.

النبى (ﷺ) فى أمر من الأمور أن يتصدق بصدقة، ولكن هذا الأمر شُق على كثير من المسلمين فنزل قوله تعالى: **(فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ)** إلخ الآية، تخفيفاً عليهم، وشفقة بهم، فهو ناسخ للآية الأولى الواجبة بوجوب الصدقة بين يدى النجوى- كما ذكر في البداية-، هو ما ذهب إليه الجمهور من المفسرين.

المطلب الثانى
اتباعه لرأى الجمهور في القول بإحكام الآية

ومن الشواهد التي تدل على ذلك:

المثال الأول: من خلال تفسير الشيخ لقوله تعالى: **{لِلَّهِ ما فِي السَّماواتِ وَما فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشاءُ وَاللَّهُ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}** البقرة/ ٢٨٤، قال:

"فإن أهل الرواية يقولون: لما أنزلت هذه الآية على رسول الله (ﷺ) إشتد ذلك على أصحابه، فأتوه، ثم بركوا على الركب، فقالوا: أي رسول الله، كُلّفنا من الأعمال ما نطيق، الصلاة، والصوم، والجهاد، وقد أنزل الله عليك هذه الآية، وإنا لا نطيقها، فقال رسول الله (ﷺ): أتريدون أن تقولوا كما قال أهل الكتابين من قبْلكم: سمعنا وعصينا؟، بل قولوا: سمعنا وأطعنا، فقالوا: سمعنا وأطعنا، فلما اقترأها القوم وذلت بها ألسنتهم، أنزل الله في أثرها: **{آمَنَ الرَّسُولُ بِما أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقالُوا سَمِعْنا وَأَطَعْنا غُفْرانَكَ رَبَّنا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ}** البقرة/ ٢٨٥، فلما فعلوا

ذلك نسخها، فأنزل سبحانه: {**لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَها لَها مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْها مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنا لا تُؤاخِذْنا إِنْ نَسِينا أَوْ أَخْطَأْنا رَبَّنا وَلا تَحْمِلْ عَلَيْنا إِصْراً كَما حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنا رَبَّنا وَلا تُحَمِّلْنا مَا لا طاقَةَ لَنا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنا وَارْحَمْنا أَنْتَ مَوْلانا فَانْصُرْنا عَلَى الْقَوْمِ الْكافِرِينَ**} البقرة/ ٢٨٦.

قال الشيخ القرطبي (رحمه الله): ولما تقرر الأمر على أنْ قالوا سمعنا وأطعنا، مدحهم الله، وأثنى عليهم في هذه الآية، ورفع المشقة في أمر الخواطر عنهم، وهذه ثمرة الطاعة والانقطاع إلى الله- تعالى-.

فالآية على هذا منسوخة، وهو ما يقول به ابن عباس، وابن مسعود، وعائشة، والشعبي، وعطاء، وابن سيرين، وجماعة من الصحابة، والتابعين.

وفي رواية عن ابن عباس، وعكرمة، والشعبي، ومجاهد: أنها محكمة، مخصوصة، وهى في معنى الشهادة التي نُهى عن كتمها في آية سبقتها، هي قوله تعالى: {**وَلا تَكْتُمُوا الشَّهادَةَ وَمَنْ يَكْتُمْها فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ**} البقرة/ ٢٨٣.

ومما يدعو إلى الحيرة، ويثير الدهشة، أن يروى الرواة عن ابن عباس الرأي، وضده، كما في هذا الموطن، وكما في مواطن أخر كثيرة.

وخلاصة ما قيل في هذه الآية يتضمن أمرين:

أحدهما: أن أصحاب رسول الله (ﷺ) فهموا منها أنهم محاسبون على خواطرهم، التي لا حيلة لهم فيها، ولا سلطان لهم عليها، فتكليفهم منازعتها، والتغلب عليها، تكليف ما لا يطاق، ولهذا مَضَوا إلى رسول الله (ﷺ) وبركوا على الركب، مشفقين على أنفسهم من العجز عن القيام بما تكلفهم به الآية وتلزمهم إياه، وقد أوضح لهم النبي (ﷺ) سبيل الظفر برحمة الله في الخضوع لأمره تعالى، وإعلان السمع والطاعة له، وحين أَخذوا بتوجيهه (عليه السلام)، وسلكوا السبيل التي أرشدهم إليها، أدركهم لطف ربهم، وحفت بهم رحمته، فدفع تعالى عنهم المشقة،

وأزاح عن صدورهم آصار الحرج، فأنزل قوله: **{لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَها لَها}**.

والخواطر التي تراود النفوس، وتخالج الصدور مما لا يتحكم فيه الإنسان، ولا يقدر على جلبه أَبيّاً، ولا دفعه أتيّاً، ومن أجل ذلك نرى أهل العلم حين يتعرضون للحديث عن الخواطر، يتجهون بالأمر والنهى إلى مقدماتها، أو إلى نتائجها، ولا يتجهون بذلك إليها في أنفسها، وذلك في مثل شرحهم للحديث الشريف الى يقول فيه الرسول (ﷺ) لأحد أصحابه، وقد استوصاه:"لا تغضب، لا تغضب، لا تغضب[1] "فقد أهل العلم: إن الغضب أمر لا يملكه الإنسان، فالنهى لا يتجه إليه في نفسه، وهذا ما لم يَرِدْه (ﷺ) وإنما أراد أن ينهى صاحبه عن مباشرة الأسباب التي تُفْضى به إلى الغضب، أو الأخذ بالنتائج التي تنشأ عن الغضب، ولا شك أن الإنسان قادر على تجنب أسباب الغضب، وعلى تجنب النتائج التي يُفضى إليها.

وثانى الأمرين: أن الآية تشير إلى حكم تضمنته الآية التي سبقتها، وهو كتمان الشهادة، وهذا ما ذهب إليه ابن عباس، ومن تابعه، وعليه فالآية محكمة، غير منسوخة.

والذى تطنئن إليه النفس وترتاح إلى الأخذ به: أن الآية غير منسوخة، وأنها غير مقصورة على الخواطر، ولا على كتمان الشهادة، بل أنها أبعد من ذلك مدى، وأرحب أفقاً، وذلك أننا إذا لاحظنا أنفسنا ونحن نأتى عملاً، فإننا ندرك ان العمل الاختيارى يبدأ في صدورنا أول ما يبدأ تصوراً، ثم يستحيل عزماً، ثم يَبرز سلوكاً

(١) انظر: صحيح البخارى ٢٢٦٧/٥، حديث رقم: ٥٧٦٥، كتاب: الأدب، باب: الحذر من الغضب.

ظاهراً، أو خفيّاً، لا فرق في ذلك بين أعمال القلوب، كالإيمان، والكفر، وبين أعمال الجوارح، كإفتراء الكذب، أو بذل المعروف".[1]

هذا ما سطره الشيخ عند تفسيره لهذه الآية الكريمة ومن خلالها يتبين أن الله يحاسب الخلائق عما يضمرونه فى أنفسهم ولو لم ينفذوه بالفعل، وقد توهم البعض أن ما يقع فى القلب مؤاخذون به، ولاشك أن مثل هذا التكليف فيه مشقة كبيرة على الناس، وأنه يفوق طاقة البشر وذلك لاستحالة وقوعه، فإنه لا يوجد إنسان إلا ويضمر بداخله أفكار وخواطر لا يعلمها إلا الله ﷻ، وإذا كان الإنسان مؤاخذ على مثل هذه الهواجس فمعنى هذا أن جميع الناس مؤاخذون ومحاسبون على ذلك، ومن هنا ورد القول بالتخفيف ونسخ هذه الآية وأخبرهم سبحانه أنه لا يكلف نفساً إلا ما وسعته طاقتها، وذلك امتثالاً لقوله تعالى: **(وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ)** الحج/ ٧٨، وورد أيضاً القول بإحكام الآية وأنها حكمها عام فى جميع الأمور.

المثال الثاني: وعند تفسيره لقوله تعالى: **{وَإِذا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُوا الْقُرْبى وَالْيَتامى وَالْمَساكِينُ فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلاً مَعْرُوفاً}** النساء/ ٨، قال في أثناء تفسيره لها:

"إلى من يتجه الخطاب في الآية، فقد ذهب قوم إلى أنه متجه إلى المُورِث الذى حضرته الوفاة وأراد الوصية...، وذهب آخرون إلى أن الخطاب متجه إلى جماعة الوارثين....، وذهب فريق ثالث إلى أن المخاطب هم أولياء الورثة الصغار.

وأما الحكم في العطاء، فهو مندوب.....، ويقول آخرون: إن الأمر في الآية على الوجوب، وليس على الندب.

---

(١) انظر: معانى القرآن، ص ٦٧ – ٦٩.

وأما عن النسخ في الآية، فقد روى ناس عن ابن عباس: أنها منسوخة بآية المواريث، وروى آخرون عنه أيضاً: أنها محكمة، غير منسوخة.

ومما يدعو إلى أشد العجب أن يكون ابن عباس (رضي الله عنهما) مصدراً لروايتين متناقضتين أشد التناقض، ومن شأن ذلك أن يدعو الحرصاء على تحرى الحقائق، والغيارى على دين الله إلى إطالة التأمل فيما يروى عن الأسلاف مما يتصل بكتاب الله حتى يخرج المسلم من ذلك بما هو أشبه بالحق، وأقرب إلى الصواب.

والرأى الخليق بالاطمئنان إليه، والأخذ به: أن الآية غير منسوخة، من حيث كان القائلون بذلك أكثر عدداً، وأقوى سنداً، ومن ورائهم إمام الأئمة محمد الباقر (رضي الله عنه)، وعنّا به وأهل العلم يروون عن سعيد بن جبير قوله:

إن ناساً يقولون نسخت هذه الآية والله ما نسخت، ولكنها مما تهاون به الناس.

ويزيد المؤمن اطمئناناً إلى القول بعدم نسخها، ما رواه القرطبي عن يحيى بن يعمر، من قوله:

ثلاث آيات محكمات تركهن الناس، هذه الآية: **{وَإِذا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُوا الْقُرْبى وَالْيَتامى وَالْمَساكِينُ فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلاً مَعْرُوفاً}**، وآية ثانية في سورة النور: **{يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنْكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ ثَلاثَ مَرَّاتٍ مِنْ قَبْلِ صَلاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيابَكُمْ مِنَ الظَّهِيرَةِ وَمِنْ بَعْدِ صَلاةِ الْعِشاءِ ثَلاثُ عَوْراتٍ لَكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلا عَلَيْهِمْ جُناحٌ بَعْدَهُنَّ طَوَّافُونَ عَلَيْكُمْ بَعْضُكُمْ عَلى بَعْضٍ كَذلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآياتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ}** النور/ ٥٨، ... والآية الثالثة من الآيات التي تهاون بها الناس– فيما يروى قتادة عن يحيى بن يعمر– هي قوله تعالى: **{يا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْناكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثى**

وَجَعَلْنـاكُمْ شُـعُوباً وَقَبائِـلَ لِتَعـارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقـاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِـيمٌ خَبِيـرٌ} الحجرات/ ١٣".[١]

فالشيخ يذكر من خلال هذا المثال أن هذه الآية الكريمة للعلماء فيها قولان:

الأول: أن الآية محكمة، وأن العمل بها باق لم ينسخ.

الثـانى: أنهـا منسـوخة بآيـة المواريـث، وأن هـذا الإعطـاء كـان قبـل نـزول آيـة المواريث فلما نزلت أخذ كل ذى حق من الأقارب والمستحقين لهذا الميراث حقه.

وبهذا المطلب أكون قد انتهيت- بفضل الله- من الفصل الثاني، وسأشرع- بإذن الله- في الحديث عن الفصل الثالث والذي سيأتي تحت عنوان: (موقف الشيخ الباقورى من التفسير بالرأى) سائلاً الله (ﷻ) أن يمدّنى بالتوفيق، والسداد، والرشاد، والتأييد من عنده، إنه ولىّ ذلك، والقادرعليه.

(١) انظر: معانى القرآن، ص ٧٠ - ٧٣.

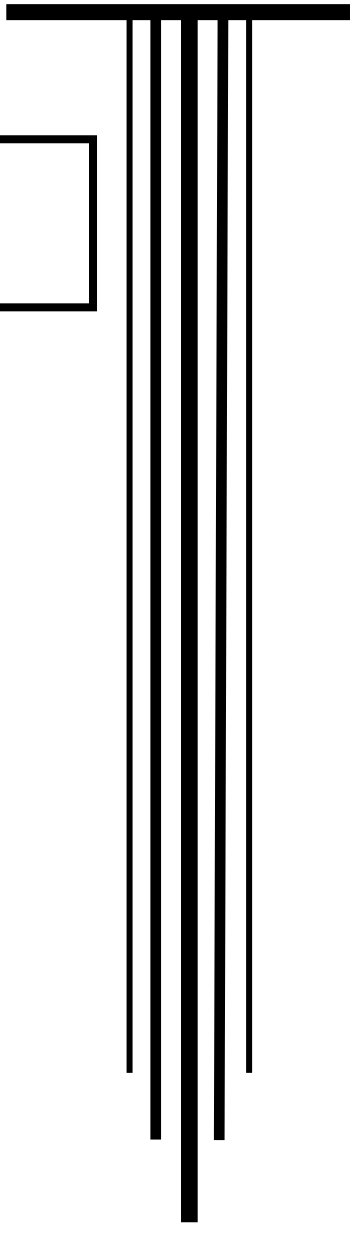

الفصل الثالث

الفصل الثالث

موقف الشيخ الباقوري من التفسير بالرأى

ويشتمل على مبحثين:

المبحث الأول

موقف الشيخ من الصفات الخبرية الموهمة للتشبيه

المراد بالصفات الخبرية هى: "ما كان الدليل عليها مجرد خبر الرسول (ﷺ)، أو الكتاب الكريم، من غير استناد إلى دليل عقلى مثل: إثبات الوجه واليد لله- تعالى-، والاستواء على العرش، والنزول إلى سماء الدنيا، وغير ذلك من الصفات التى نطقت بها الآيات القرآنية، وجاءت فى الأحاديث الواردة عن سيدنا رسول الله (ﷺ) وهى لا توجب المماثلة"(١).

وقيل فى معناها أيضا: "هى التى لا سبيل إلى إثباتها إلا بطريق السمع، والخبر عن الله- تعالى-، أو عن رسوله (ﷺ)، وقد تكون ذاتية كالوجه، واليدين، والعينين، وقد تكون فعلية كالاستواء، والنزول، والفرح"(٢)

وأما عن موقف الشيخ الباقوري (رحمه الله) من هذه الصفات، فأقول:

---

(١) انظر: التوحيد وإثبات صفة الرب، لأبى بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة ٥/٢٠٠، ط: دار الكتب العلمية، بيروت الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ.

(٢) انظر: الصفات الإلهية فى الكتاب والسنة فى ضوء الإثبات والتنزيه، لفضيلة الشيخ الدكتور/ محمد أمان على الجامى، صـ٢٠٧، ٢٠٨، الطبعة الأولى بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

إن الشيخ لم يتعرض لهذه الصفات كثيراً، ومن خلال قراءتى لما كتبه في مجال التفسير وعلوم القرآن، وجدت أنه لم يتحدث إلا عن ثلاث صفات منها، وقد اختلف منهجه في عرضها، فأحياناً يجمع بين مذهب السلف، والخلف، وأحياناً أخرى يقتصر على عرض مذهب الخلف فقط، وسيتضح ذلك من خلال النماذج التالية:

المثال الأول:عند تفسيرالشيخ لقوله تعالى: **{إِنَّ اللَّهَ لا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلاً مَا بَعُوضَةً فَما فَوْقَها فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهذا مَثَلاً يُضِلُّ بِهِ كَثِيراً وَيَهْدِي بِهِ كَثِيراً وَما يُضِلُّ بِهِ إِلاَّ الْفاسِقِينَ}** البقرة/ ٢٦، قال:

"والحياء الذى نفته الآية عن الله (ﷻ) هو تغير، وانكسار يعترى الإنسان من خوف ما يُعاب به، ويُذم عليه، وربما بلغ الحياء بالإنسان مبلغاً يقول فيه العربي: رأيت الهلاك في وجه فلان من شدة الحياء، وإنه ليذوب حياء.

وظاهر أن الحياء بهذا المعنى بيّن الاستحالة في حق الله- تعالى- وذلك مما لا يليق بالله- تبارك وتعالى- لأنه صفة للأجسام، والله- تعالى- منزّه عن كونه جسماً.

وقد اعترض فريق من أهل العلم على ذلك قائلاً:

كيف يُسوغ نفى الحياء عن الله- تعالى- مع ورود الأحاديث بذلك، كقوله (ﷺ) فيما روى عن سلمان: "**إِنَّ اللَّهَ حَيِيٌّ كَرِيمٌ يَسْتَحْيِي إِذَا رَفَعَ الرَّجُلُ إِلَيْهِ يَدَيْهِ أَنْ يَرُدَّهُمَا صِفْرًا خَائِبَتَيْنِ**"

فلا يجوز أن يوصف به إلا بضرب من التأويل يجعله سائغ الاستعمال، فبهذا اللون من التأويل يسوغ المسلم إطلاق هذه الصفة على الحق- تبارك وتعالى-

كما يسوغ إطلاق صفات أخرى تجرى في سبيل الحياء، ولا بد فيها من اللجوء إلى ضرب من التأويل.

وخلاصة التأويل في ذلك: أن ها هنا قانوناً يجب أن تُرد إليه كلمة الحياء، ومثيلاتها من الرحمة، والعطف، وما إلى ذلك، وهذا القانون يقوم على أن كل صفة تثبت للعبد وتكون خاصة بالأجسام، فإنها تُحمل على نهاية الصفة لا على بدايتها إذا وردت وصْفاً لله- تعالى- فالحياء: حال تحصل للإنسان لها مبدأ، ولها منتهى، فالمبدأ هو التغير الجسمانى الذى يَلحق الإنسان من خوف أن ينسب إلى القبيح، وأما النهاية فهو أن يَترك الإنسان ذلك الفعل حتى لا يواقع المكروه.

فإذا ورد الحياء في حق الله- تعالى- فليس يراد منه الخوف، الذى هو مبدأ الحياء ومقدمته، وهو الخوف والانكسار من أجل ما يعاب به، ويذم من أجله، وإنما يراد منه: ترك الفعل الذى هو منتهاه، وغايته، وهو ترك الفعل الذى يعاب به، ويذم عليه، وعلى هذا النحو (الغضب) فإن له علامة، ومقدمة، وهى غليان دم القلب، وتنبه شهوة الانتقام، ثم له مع ذلك غاية ينتهى إليها، وهى إنزال العقاب بالمغضوب عليه، فإذا وصفنا الله- تعالى- بالغضب، فليس المراد به شهوة الانتقام، ولا غليان دم القلب، بل المراد منه: نهاية تلك الصفة، التي هي إنزال العقاب بالمغضوب عليه".(١)

يتضح من خلال هذا المثال أن الشيخ التزم منهج الخلف فى تفسير الحياء، وتأويل هذه الصفة، بأنها ليست على حقيقتها، وإنما وردت على سبيل التمثيل، وأن معناها الحقيقي يستحيل في حق الله- تعالى- فعبر عن الحياء بالترك، الذى هو أحد ثمرات، ولوازم الحياء.

المثال الثاني: ومن خلال تعرضه لقوله تعالى: **{إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّماواتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهارَ**

(١) انظر: تحت راية القرآن، ص ٩٢،٩٣، معانى القرآن، ص ٤٠.

يَطْلُبُهُ حَثِيثاً وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّراتٍ بِأَمْرِهِ أَلا لَـهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعالَمِينَ} الأعراف/ ٥٤، قال:

"إن استواء الله– تعالى–على العرش من الأمور التى اختلف علماء الإسلام حول المراد منه، إختلافاً يتنزه به تعالى عما لا يليق بذاته، ولا يناقض ما ورد في كتاب الله، ولا ما روى عن رسول الله (ﷺ)، ولا ما أثر عن الصالحين مما يتصل بهذا المقام.....

فأما استواء الله– تعالى– على العرش، فإن أحداً من السلف الصالح لم ينكر أن الله استوى على عرشه حقيقة، وإنما جهلوا كيفية الاستواء، لأن حقيقة ذلك فوق العقول، ولهذا قال الإمام مالك (رحمه الله): الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة.

غير أن بعض العلماء لا يسايرون مالكاً، ولا يوافقونه على ما ذهب إليه من مذهب، ولكنهم يُفصّلون الكلام في ذلك تفصيلاً يحاولون به الإقناع.

ومن أشهر الذين تكلموا في هذا الأمر، فأوسعوه بحثاً، وصرّفوا القول فيه تصريفاً، صاحب مفاتيح الغيب.....

"والعلماء الراسخون في العلم، لهم حيال هذا المعنى مَذْهَبَانِ:

القول الْأَوَّلُ: الْقَطْعَ بِكَوْنِهِ تَعَالَى مُتَعَالِيًا عَنِ الْمَكَانِ، وَالْجِهَةِ، وَلَا نَخُوضَ فِي تَأْوِيلِ الْآيَةِ عَلَى التَّفْصِيلِ، بَلْ نُفَوِّضُ عِلْمَهَا إِلَى اللَّهِ وَهُوَ الَّذِي قَرَّرْنَاهُ فِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ: **{وَما يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ}** آلِ عِمْرَانَ/ ٧.

الْقَوْلُ الثَّانِي: أَنْ نَخُوضَ فِي تَأْوِيلِهِ عَلَى التَّفْصِيلِ، وَفِيهِ مَا ذَكَرَهُ الْقَفَّالُ– رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ– فَقَالَ: الْعَرْشِ فِي كَلَامِهِمْ هُوَ السَّرِيرُ الَّذِي يَجْلِسُ عَلَيْهِ الْمُلُوكُ، ثُمَّ جُعِلَ الْعَرْشُ كِنَايَةً عَنْ نَفْسِ الْمَلِكِ، يُقَالُ: ثُلَّ عَرْشُهُ، أَيِ: انْتَقَصَ مُلْكُهُ وَفَسَدَ، وَإِذَا استقام له ملكه واطراد أَمْرُهُ وَحُكْمُهُ قَالُوا: اسْتَوَى عَلَى عَرْشِهِ وَاسْتَقَرَّ عَلَى سَرِيرِ مُلْكِهِ، هَذَا مَا قَالَهُ الْقَفَّالُ.

وَأَقُولُ: إِنَّ الَّذِي قَالَهُ حَقٌّ، وَصِدْقٌ، وَصَوَابٌ، ونظيره قولهم: للرَّجُلِ الطَّوِيلِ: فُلَانٌ طَوِيلُ النِّجَادِ، وَلِلرَّجُلِ الَّذِي يُكْثِرُ الضِّيَافَةَ كَثِيرُ الرَّمَادِ، وَلِلرَّجُلِ الشَّيْخِ فُلَانٌ اشْتَعَلَ رَأْسُهُ شَيْبًا، وَلَيْسَ الْمُرَادُ فِي شَيْءٍ مِنْ هَذِهِ الْأَلْفَاظِ إِجْرَاؤُهَا عَلَى ظَوَاهِرِهَا، إِنَّمَا الْمُرَادُ مِنْهَا: تَعْرِيفُ الْمَقْصُودِ عَلَى سَبِيلِ الْكِنَايَةِ، فكذا هاهنا يَذْكُرُ الِاسْتِوَاءَ عَلَى الْعَرْشِ، وَالْمُرَادُ: نَفَاذُ الْقُدْرَةِ وَجَرَيَانُ الْمَشِيئَةِ"[1]

.....وعلى هذا يكون الاستواء على العرش في مذهب الخلف، كناية عن الملك، فإنه لما كان الاستواء على العرش وهو سرير الملك مما يرادف الملك، جعلوه كناية عن الملك، فقالوا: إستوى فلان على العرش، يريدون بذلك: أنه ملك، وإن لم يقعد على السرير البتة.

وخلاصة ما روى عن الفقهاء بمعانى القرآن في هذا الباب، أن للناس في تفسير الاستواء على العرش مذهبين:

مذهب السلف: الذى يفوض الأمر إلى الله في معنى الاستواء، فلا يبحث عن حقيقته، ولا يُصرف الكلام عن وجهه.

ومذهب الخلف: الذى يحاول التماس معنى تطمئن إليه النفس، وتتيسر به سبيل الاعتقاد، فيَصرف التعبير عن الحقيقة إلى الكناية.

وقد كان شيوخنا (ﷺ) كثيراً ما يردّدون قولاً يُؤثر عنهم: مذهب السلف أعلم، ومذهب الخلف أحكم.

والسلف والخلف جميعاً إنما يقصدون إلى تنزيه الله (ﷻ) عما لا يليق بذاته، وهم جميعاً مقيّدون بأساليب اللغة التي نزل بها القرآن.

وقد وردت كلمة (العرش) في القرآن الكريم في أكثر من عشرين آية، لا نشك في أن بعضها يصعب على النفس فقهه، أو التسليم به، أو الانقياد له إذا حُمِل اللفظ فيه على غير حقيقة معناه، لأنه يُفْضى بالمسلم إلى اعتقاد التحيز التي يتنزه

(١) انظر: مفاتيح الغيب ١٤/٢٧٠.

عنه رب العالمين، وذلك في مثل قوله تعالى: **{وَالْمَلَكُ عَلى أَرْجائِها وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمانِيَةٌ}** الحاقة/ ١٧.

فالمصير إلى الكناية في مثل هذا التعبير أرْضى للنفس، وأيسر للاعتقاد، وهو في الوقت نفسه آخذ بعرف اللغة، ونازل على مقاصد القرآن".(١)

يلاحظ من هذا المثال أن الشيخ قد جمع بين مذهب السلف والخلف في تفسير صفة الاستواء، ثم رجّح مذهب الخلف، وأن معناها: الاستقرار على العرش، والكناية عن الملك.

"والاستواء صفة لله- تعالى- أثبته لنفسه فى كتابه، وعلى لسان رسوله (ﷺ)، وأجمع عليه الصحابة، والتابعونٍ، وأئمة المسلمين، ومن تبعهم(٢)، ولم يخالف فيه إلا من هو متهم على الإسلام(٣)، أو مغرور بالتقليد لمن يحسن به الظن"(٤).

"والاستواء على العرش من الصفات المعلومة بالسمع، لا بالعقل"(٥).

---

(١) انظر: معانى القرآن، ص ١٦١ – ١٦٨.

(٢) ذكر الإمام الذهبى أقوالاً كثيرة عن الصحابة والتابعين فى إثبات صفة العلو والاستواء لله – تعالى –، ينظر: العلو للعلىّ الغفار فى إيضاح صحيح الأخبار وسقيمها، لشمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبى صـ١٤ – ٧٠، ت: أبو محمد أشرف بن عبد المقصود، ط: مكتبة أضواء السلف، الرياض ١٤١٦هـ – ١٩٩٥م.

(٣) قال شيخ الإسلام ابن تيمية "القول بأن الله – تعالى – ليس فوق العرش أول من ابتدعه فى الإسلام الحمد بن درهم، والجهم بن صفوان، وشيعتهما، وهم عند الأمة من شرار أهل الأهواء"، ينظر: بيان تلبيس الجهمية فى تأسيس بدعهم الكلامية، لأحمد بن عبد الحليم بن تيمية ١/ ١٢٧، ت: محمد بن عبد الرحمن بن قاسم، ط : مطبعة الحكومة، مكة المكرمة ١٣٩٢هـ.

(٤) انظر: شرح كتاب: التوحيد فى صحيح البخارى للشيخ عبد الله بن محمد الغنيمان ٤٠٧/١ ط مكتبة الدار المدينة المنورة ١٤٠٥هـ الطبعة الأولى.

(٥) انظر: مجموع الفتاوى، لتقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني ٢٢٧/٥، ت: أنور الباز – عامر الجزار، ط: دار الوفاء،الطبعة: الثالثة، ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م.

المبحث الثاني
موقف الشيخ الباقوري من علوم اللغة العربية

لما كان أمر اللغة العربية من الأهمية بمكان فقد أدلى الشيخ بدلوه فى توضيح، وإيراد بعض الأمور المتعلقة بعلوم اللغة العربية، وأفرغ وسعه فى بيانها، ليكون القارئ على علم بأصول كلام العرب الذى نزل به القرآن الكريم، فيستعين بذلك على فهم نظمه، وتراكيب كلامه الذى يتألف من تلك المعانى، والمفردات، وبحكم أن الشيخ الباقوري (رحمه الله) كان متخصصاً في هذه العلوم، فأراه قد أفاض، وأجاد، وأحسن الكلام فيما يتعلق بهذه العلوم، وكأن الشيخ كان يدرك أهمية هذه العلوم في تفسير كتاب الله- تعالى-، وأنها لا غنى عنها لأى مفسر، لذا عدّها العلماء شرطاً أساسياً فيمن يريد أن يقدم على تفسير كتاب الله (ﷻ).

ويمكن تحديد معالم منهجه فى اللغة العربية من خلال المطالب التالية:

المطلب الأول
عنايته ببيان الفروق اللغوية بين الألفاظ المترادفة

ومن الشواهد الدالة على ذلك:

المثال الأول: عند تفسير الشيخ لقوله تعالى: **{إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ}** التوبة/ ٦٠، **قال:**

"إن من حق هذه الآية علينا أن نقف بك عند الفرق بين الفقير والمسكين فيها: فالفقير: هو الذى لا يملك شيئاً، أي شيء، على ما تشير إلى ذلك كلمة كليم الله موسى (عليه السلام) بعد أن سقى الغنم لبنتىّ شعيب، ثم تولى إلى الظل، فقال: **{رَبِّ إِنِّي لِما أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ}** القصص/ ٢٤.

وأما المسكين: فإنه الذى يملك شيئاً، أي شيء، كما تشير إلى ذلك الآية الشريفة من كتاب الله:

{أَمَّا السَّفِينَةُ فَكانَتْ لِمَساكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَها وَكانَ وَراءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْباً} الكهف/ ٧٩، فقد أطلقت الآية كلمة (المسكين) وصفاً على من يملك شيئاً تتلمظ[١] إليه شهوات الملوك".[٢]

من خلال هذا المثال يتضح أن الشيخ قام بذكر الفرق بين الفقير، والمسكين، وذكر وجهاً واحداً من الفرق بينهما، مع أن العلماء ذكروا وجوهاً كثيرة في الفرق بينهما قد تصل إلى تسعة أقوال، كما ذهب الإمام القرطبى (رحمه الله)[٣].

وقد ذكر الشيخ في هذا الفرق، أن الفقير: لا كسب له، ولا مال، وسُمى بذلك: لأن الفقر أصاب فقار ظهره، والمسكين: له مال وكسب، ولكن لا يكفيه، مستدلاً بآية الكهف، واستدل البعض بأنه (عليه السلام) كان يسأل المسكنة.

"وقد اختلف أهل العلم في الفرق بين الفقير والمسكين على أقوال:

فقال البعض: إن الفقير أحسن حالاً من المسكين، قالوا: لأن الفقير هو الذي له بعض ما يكفيه ويقيمه، والمسكين الذي لا شيء له، وذهب إلى هذا قوم من أهل الفقه، منهم أبو حنيفة.

وقال آخرون: بالعكس فجعلوا المسكين أحسن حالاً من الفقير، واحتجوا بقوله تعالى: **{أما السفينة فكانت لمساكين}** فأخبر أن لهم سفينة من سفن البحر، وربما

---

(١) اللمْظ والتلمُظُ: الأَخذ بِاللِّسَانِ مَا يَبْقى فِي الْفَمِ بَعْدَ الأَكل، وَقِيلَ: هُوَ تَتَبُّع الطُّعْم والتذوُّق، وَقِيلَ: هُوَ تَحْرِيكُ اللِّسَانِ فِي الْفَمِ بَعْدَ الأَكل كأَنه يَتَتَبَّع بَقِيَّةً مِنَ الطَّعَامِ بَيْنَ أَسنانه، اللُّماظة، بِالضَّمِّ: مَا يَبقى فِي الْفَمِ مِنَ الطَّعَامِ، انظر: لسان العرب ٤٦١/٧.

(٢) انظر: تحت راية القرآن، ص ٨٦.

(٣) انظر: الجامع لأحكام القرآن ١٦٨/٨.

ساوت جملة من المال، ويؤيده تعوذ النبي (ﷺ) من الفقر مع قوله: "اللهم أحيني مسكينا وأمتني مسكينا واحشرني في زمرة المساكين"(١)، وإلى هذا ذهب الأصمعي وغيره من أهل اللغة وحكاه الطحاوي عن الكوفيين وهو أحد قولي الشافعي وأكثر أصحابه.

وقال قوم: إن الفقير والمسكين سواء لا فرق بينهما وهو أحد قولي الشافعي، وإليه ذهب ابن القاسم، وسائر أصحاب مالك، وبه قال أبو يوسف.

وقال قوم: الفقير المحتاج المتعفف، والمسكين السائل، قاله: الأزهري، وهو المروي عن ابن عباس، والحسن، ومجاهد، وعكرمة.

وقد قيل غير هذه الأقوال مما لا يأتي الاستكثار منه بفائدة يعتد بها".(٢)

---

(١) هذا الحديث قال عنه العلماء: أما قَوْله «اللَّهُمَّ أحيني مِسْكينا» فَأخْرجهُ التِّرْمِذِيّ فِي «جَامعه» فِي أَبْوَاب الزّهْد فِي بَاب: (مَا جَاءَ أَن فُقَرَاء الْمُهَاجِرين يدْخلُونَ الْجنَّة قبل أغنيائهم)، من حَدِيث أنس أَن رَسُول الله قَالَ: «اللَّهُمَّ أحيني مِسْكينا وأمتني مِسْكينا، واحشرني فِي زمرة الْمَسَاكِين يَوْم الْقِيَامَة. قَالَت عَائِشَة: لِمَ يَا رَسُول الله ؟ قَالَ: إِنَّهُم يدْخلُونَ الْجنَّة قبل أغنيائهم بِأَرْبَعِينَ خَرِيفًا، يَا عَائِشَة لَا تَرُدِّي الْمِسْكِين وَلَو بشق تَمْرَة، يَا عَائِشَة أحبي الْمَسَاكِين وقربيهم فَإِن الله يقربك يَوْم الْقِيَامَة» قَالَ التِّرْمِذِيّ: هَذَا حَدِيث غَرِيب، قلت: وَضَعِيف أَيْضا قَالَ: فِي إِسْنَاده الْحَارِث بن النُّعْمَان اللَّيْثِيّ ابْن أُخْت سعيد بن جُبَير، قَالَ أَبُو حَاتِم فِيهِ: لَيْسَ بِالْقَوِيّ. وَقَالَ البُخَارِيّ: مُنكر الحَدِيث. قلت: لَكِن لَهُ شَاهد من حَدِيث أبي سعيد الْخُدْرِيّ رَوَاهُ ابْن مَاجَه فِي أَبْوَاب الزّهْد من «سننه» فِي بَاب [مجالسة] الْفُقَرَاء قَالَ: «(أَحبُّوا) الْمَسَاكِين فَإِنِّي سَمِعت رَسُول الله (ﷺ) يَقُول فِي دُعَائِهِ: «اللَّهُمَّ أحيني مِسْكينا وأمتني مِسْكينا واحشرني فِي زمرة الْمَسَاكِين» وَإِسْنَاده أَيْضا ضَعِيف ؛ لِأَنَّهُ من رِوَايَة يزِيد بن سِنَان الرهاوي – وَقد ضَعَّفُوهُ – عَن [أبي] الْمُبَارك – وَهُوَ مَجْهُول"، انظر: البدر المنير ٣٦٧/٧، المقاصد الحسنة ١٥٣/١.

(٢) انظر: زاد المسير ٢٧٠/٢، النكت والعيون ٣٧٤/٢، الجامع لأحكام القرآن ١٦٨/٨، فتح البيان ٣٢٨/٥، الفروق اللغوية، لأبي هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد=

المثال الثاني: ومن خلال تفسيره لقول الله- تعالى-: **{قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجاً عَلى أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا (٩٤) قالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْماً}** الكهف/ ٩٥، ٩٤، قال:

"**والفرق بين السد، والردم، أن السد:** كل ما تسد به، وأما الردم: فهو وضع الشئ على الشئ من حجارة، أو تراب، أو نحوه حتى يقوم من ذلك حجاب منيع، ومن ذلك: ردم ثوبه، إذا رقّعه برقاع متكاثفة بعضها فوق بعض، ومن لك قول عنترة:

هل غادر الشعراء من مُتَرَدّم * أم هل عرفْتَ الدار بعد تَوهُم**

يعنى عنترة: أن الشعراء لم يغادروا قولاً يركب بعضه فوق بعض".[١]

وحول هذا الفرق الذى ساقه شيخنا قال علماؤنا الأجلاء:

"و«الردم» أبلغ من السد، إذ السد كل ما سد به، و «الردم» وضع الشيء على الشيء من حجارة، أو تراب، أو نحوه حتى يقوم من ذلك حجاب منيع، ومنه ردم ثوبه: إذا رقعه برقاع متكاثفة، بعضها فوق بعض، ومنه قول الشاعر:

هل غادر الشعراء من متردم، أي: من قول يركب بعضه على بعض".[٢]

=بن يحيى بن مهران العسكري١/١٧٧، ت: محمد إبراهيم سليم، ط: دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر.

(١) انظر: معانى القرآن، ص ١٧٦.

(٢) انظر: المحرر الوجيز ٣/٥٤٢، زاد المسير ٣/١٠٩، فتح القدير ٣/٣٦٩، فتح البيان ٨/١١٧.

المطلب الثاني
استشهاده بالأبيات الشعرية لبيان معنى الآية القرآنية

من خلال معايشتي مع تفسير الشيخ وجدت أنه اعتنى اعتناء بالغاً بإيراد الأبيات الشعرية فى كتاباته في مجال التفسير وعلوم القرآن، ويبدو أن تخصصه الأكاديمي أضفى كثيراً على ما كتبه، وأن ملكة العربية، وحبه للشعر العربي قد أثّر فيه، وجعله يستشهد بكثير من الأبيات الشعرية، وقد جاء منهجه فيه من خلال العنصرين التاليين:

العنصر الأول
استشهاده بالشعر المنسوب لبيان معنى الآية القرآنية

ومن الأمثلة الدالة على ذلك:

المثال الأول: عند تفسير الشيخ لقول الله (ﷻ): **{وَيَسْئَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذىً فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ فَإِذا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ}** البقرة/ ٢٢٢، قال ضمن ما قاله فى تفسيره لها: "والمعروف أن العرب كانت تمتدح نساءها بالحمل في حالة الطُهر المستيقن، الذى لا يشوبه شك في بقية من حيض يضْعُف معها الجنين، ومن هنا امتدحت أم المؤمنين عائشة رسول الله (ﷺ) بأن أمه– فيما ذكر الإمام القرطبي في تفسيره– لم تَحمل به في بقية من حيض، فكانت تَنْشُد في امتداحها إياه، قول أبى كَبِير الهُذْلِيّ، يمدح فتىً من نجباء العرب في قصيدة له يقول فيها:

ومبرأ من كل غُبّرِ حَيْضَة * وفسَادِ مُرْضِعَةٍ وذَاءٍ مَغيلِ**[1][2]

المثال الثاني: وعند تفسيره لقوله تعالى: {**هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولاً فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ**} الملك/ ١٥، قال:

"**النشور**: الحياة بعد الموت، والعرب تقول: نشر الميت، إذا قام بعد الموت، ومنه قول الأعشى:

حَتَّى يقولَ النَّاسُ مِمّا رأَوْا * يا عَجَباً للمَيّتِ النَّاشرِ**[3][4]

(١) انظر: يعنى أن أمه لم تحمل به في بقية حيضها، (غبر حَيْضَة) أَي: بقايا حَيْضَة، (والمغيل) من الغيلة بِكَسْر الْغَيْن، وَهُوَ أَن تغشى الْمَرْأَة وَهِي ترْضع، مَعْنَاهُ: أَنَّهَا حملت بِهِ وَهِي طَاهِرَة لَيْسَ بهَا بَقِيَّة حيض وَوَضَعته وَلَا دَاء بِهِ استصحبه من بَطنهَا وَلم ترْضِعه أمه غيلا، انظر: العقد الفريد، لأبي عمر، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد ربه، المعروف بابن عبد ربه الأندلسي ٢٥٨/٧، ط: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٤هـ، شرح ديوان الحماسة (ديوان الحماسة: اختاره أبو تمام حبيب بن أوس)، ليحيى بن علي بن محمد الشيبانيّ التبريزي، أبو زكريا، ص ٢٠، ط: دار القلم، بيروت، الجامع لأحكام القرآن ١١٥/٣.

(٢) انظر: تحت راية القرآن، ص ٧٨،٧٧.

(٣) انظر: مفاتيح الغيب ٢٨٧/١٤، بصائر ذوى التمييز ٥٤/٥، الأغاني، لأبي الفرج الأصفهاني ٣٠٣/١٦، ت: سمير جابر، ط: دار الفكر – بيروت، الطبعة الثانية، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، لأحمد بن علي القلقشندي ٤٤٤/١، ت: د. يوسف علي طويل، ط: دار الفكر، دمشق،الطبعة الأولى، ١٩٨٧م.

(٤) انظر: مع القرآن، ص ٥٣.

العنصر الثاني

استشهاده بالشعر غير المنسوب لبيان معنى الآية القرآنية

ومن شواهده:

المثال الأول: عند تعرض الشيخ لقول الله (ﷻ): **{وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعافاً خافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً}** النساء/ ٩، قال:

"**والقول السديد من الأوصياء:** أن لا يؤذوا اليتامى ويكلموهم كما يكلمون أولادهم بالأدب الحسن والترحيب، ويدعوهم بيا بنيّ، ويا ولدى.....

وبتدبر الآيات الشريفة التي عنيت بأمر اليتامى، وبالنظر السديد فيما قاله العلماء حول معانى هذه الآيات، وبما يتراءه الدارسون من حرص المسلمين على القيام بأمر الله في معاملة اليتامى، نستطيع أن نقرر أن الغاية التي تغيّاها القرآن الكريم من أوامره، ووصاياه، هي ألا يشعر اليتيم بمرارة فقد أبيه، وألا يحس الذل في المجتمع الذى يعيش فيه، وهو ما كان يراه الشاعر الإسلامي فيتألم له، ويضيق به، ويزداد تشبثاً بالحياة من أجله، فيقول:

لَقَدْ زادَ الحَياةَ إليَّ حُبّـــــــــاً * بَناتي أَنَّهُنَّ مـــــن الضِّعافِ

مخافـــــةَ أنْ يَرَيْنَ البُؤسَ بَعْدِي * وأنْ يَشْرَبْنَ رَنْقاً بعدَ صافِ[(١)][(٢)]

---

(١) البيتان، اختلفا اللعلماء في نسبتهما، فالبعض نسبهما، لعمران بن حطان، انظر: الأغانى ١١٣/١٨، الذخائر والعبقريات ٣٣/١، والبعض نسبهما، لأبي خالد القناني، انظر: لسان العرب ٥١٠/١٢، الكامل في اللغة والأدب، لمحمد بن يزيد المبرد، أبو العباس ١٢٤/٣، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط: دار الفكر العربي – القاهرة، الطبعة: الطبعة الثالثة ١٤١٧هـ – ١٩٩٧م.

(٢) انظر: معانى القرآن، ص ١٣٥.

المثال الثانى: وعند تعرضه لقوله تعالى: {**إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ (١٢) وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذاتِ الصُّدُورِ (١٣) أَلا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ (١٤) هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولاً فَامْشُوا فِي مَناكِبِها وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ (١٥) أَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّماءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذا هِيَ تَمُورُ (١٦) أَمْ أَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّماءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حاصِباً فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ (١٧) وَلَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كانَ نَكِيرِ**} الملك/ ١٢- ١٨، قال ضمن ما قاله عن المعنى الإجمالى لهذه الآيات:

"والذين يتدبرون كتاب الله- تعالى-، ويعطونه حقه من التأمل، والاستبصار، لا ريب في أنهم ينتفعون بذلك أشد الانتفاع، وما آفة أهل العلم إلا أنهم عُنوا بالنظريات العلمية في القرآن، ومن الأخذ باستظهاره وحفظه، ومدوامة تلاوته تلذذاً بمناجاة الله للذين يتلونه، وانتفاعاً بما اشتمل عليه النظم الشريف من أدب، وحكمة، ومثل.

فاحذر أيها الأخ الكريم، أن يكون همك من دراسة القرآن، مجرد مسائل علمية، دون أن تحاول حفظه، أو حفظ شيء منه، وأنت إذا استعذت بالله من الشيطان الرجيم، وسألت الله العون على استظهاره، وحفظه، وفقهه، فإن الله معطيك سؤلك، وما أصدق ما قال الشاعر المؤمن:

أَخْلِقْ بذي الصبرِ أن يحظَى بحاجته *** ومُدْمِنِ القَرْعِ للأبواب أن يَلِجَا[1][2]

---

(١) البيت، لمحمد بن بشير، انظر: بصائر ذوى التمييز ٢٥٨/٤، الأغانى ٤٢/١٤، الشعر والشعراء، لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري ٨٦٧/٢، ط: دار الحديث، القاهرة، عام النشر: ١٤٢٣هـ.

(٢) انظر: مع القرآن، ص ٥٧.

المطلب الثالث
علم البيان فى تفسير الشيخ الباقوري

علم البيان: هو"علم يعرف به إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة فى وضوح الدلالة عليه"(١).

وثمرة هذا العلم: "الوقوف على أسرار كلام العرب منثورة، ومنظومة، ومعرفة ما فيه من تفاوت فى فنون الفصاحة، وتباين فى درجات البلاغة التى يصل بها إلى مرتبة إعجاز القرآن الكريم الذى حار الجن والإنس فى محاكاته وعجزوا عن الإتيان بمثله"(٢)

ومن الصور البيانية التي اهتم الشيخ بذكرها، ولم يذكر غيرها: (الكناية).

وقد جاء منهجه فيه من خلال الأمثلة التالية:

المثال الأول: عند تفسير الشيخ لقوله تعالى: {**وَيَسْئَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذىً فَاعْتَزِلُوا النِّساءَ فِي الْمَحِيضِ وَلا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ فَإِذا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ**} البقرة/ ٢٢٢. قال

(١) انظر: مفتاح العلوم، ليوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي السكاكي الخوارزمي الحنفي أبو يعقوب، ص ٣٢٩، ت: نعيم زرزور، ط: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الثانية، ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م، عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، لأحمد بن علي بن عبد الكافي، أبو حامد، بهاء الدين السبكي ٥/٢، ت: الدكتور عبد الحميد هنداوي، ط: المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٣م.

(٢) انظر: جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، لأحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي، ص ٢١٧، ت: د. يوسف الصميلي،ط: المكتبة العصرية، بيروت.

أثناء تفسيره لقوله تعالى (قل هو أذى): "والأذى كناية عن القذر[1]، على الجملة"[2]

المثال الثاني: ومن خلال معايشته مع قوله تعالى: **{إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّماواتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثاً وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّراتٍ بِأَمْرِهِ أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعالَمِينَ}** الأعراف/ ٥٤، قال أثناء تفسيره لهذه الآية الكريمة:

"أما الكناية، فإنها عند علماء البلاغة: هي اللفظ الذى لا يراد به المعنى الذى وُضِع له، ولكن يراد به لازم معناه، مع تجويز إرادة المعنى الأصلي، ومثال ذلك أن يقول القائل: يد فلان مبسوطة، يريد أنه جوّاد، فقد أطلق اللفظ هنا، وأراد لازم معناه، وهو أنه جواد، ولم يُرد حقيقة المعنى، وهو أنه بسط يده فعلاً، لأنهم يقولون ذلك في حق من لم يبسط بالعطاء يداً، كأن يأمر خازنه بالعطاء، بل ربما قالوا ذلك التعبير في حق من لم تكن له يد أصلاً.

وعلماء البلاغة يذكرون أن الكناية تتنوع إلى أنواع ثلاثة، يجمعها كلها تعريفهم إياها، بأنها استعمال اللفظ في لازم معناه، وليس في حقيقة معناه:

النوع الأول: كناية عن الموصوف، كما يقول القائل: أصاب الجندى برصاصة موطن الحقد من عدوه، يعني بذلك: قلبه.

النوع الثاني: كناية عن الصفة، كما قال الشاعر يصف سخيّاً جوّاداً:

فَبابُكَ أسْـــــــــهَلُ * ودَارُكَ مَأْهُولـــــــــةٌ عامِرَهْ

---

(١) القول بالكناية في هذه الآية، كما أورد الشيخ، قال به كثير من المفسرين، انظر: الجامع لأحكام القرآن ٨٥/٣، فتح القدير ٢٥٩/١، فتح البيان ٤٤٧/١.

(٢) انظر: مع القرآن، ص ١٥١.

أَبْوابِهِمْ

وكَلبُكَ آنَسُ بالزّائِـــــــرينَ * مـــــنَ الأُمِّ بالابْنَةِ الزَّائِرَهْ[1]

فالشاعر في هذا الشعر وصف هذا السخيّ الجواد بغاية الجود، معبراً عن ذلك بكثرة غشيان الناس داره، حتى لقد أَلِف كلبه الناس، وآنس بهم، كما تأنس الأم بابنتها حين تزورها.

النوع الثالث: كناية عن النسبة، وذلك قول الشاعر، مادحاً جواداً:

فما جازه جودٌ ولا حل دُونَهُ * ولكن يسير الجودُ حيث يسيرُ**[2]

فقد أراد الشاعر بهذا البيت أن ينسب هذا الجواد إلى الجود، وأن ينسب الجود إليه فيجعله ملازماً له، ملازمة الرفيق لرفيقه، فلا يتقدم عنه ولا يتأخر، ولكن يحل معه حيث حل، ويرحل معه حيث ارتحل.[3]

وعلى هذا يكون الاستواء على العرش في مذهب الخلف، كناية عن الملك[4]، فإنه لما كان الاستواء على العرش وهو سرير الملك مما يرادف الملك، جعلوه كناية عن الملك".[5]

---

(١) البيتان، لعمران بن عصام، يصف نصيب بن رباح، انظر: ديوان المعانى، ص ٧، دلائل الإعجاز، لأبي بكر عبدالقاهر بن عبدالرحمن بن محمد الجرجاني، ص ٢٣٨، ت: د/ محمد التنجي، ط: دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٥م.

(٢) البيت، لأبي نواس، مادحاً الخصيب: انظر: الأغانى ٤٣٥/١٦.

(٣) للحديث عن الكناية، وتعريفها، وأقسامها، ينظر: جواهر البلاغة، ص ٣٤٦، مختصر المعانى لسعد الدين التفتازانى صـ٢٤٢–ط دار الفكر–الأولى ١٤١هـ.

(٤) القول بالكناية في هذه الآية، وما ذكره الشيخ فيها، ذكره كثير من المفسرين، انظر: الكشاف ٥/٣، مفاتيح الغيب ٩/٢٢، الجامع لأحكام القرآن ٨٧/١٤، فتح القدير ٤٢١/٣.

(٥) انظر: معانى القرآن، ص ١٦٦،١٦٧.

المطلب الرابع
استشهاده على بيان المعنى اللغوي بالأمثال العربية

"لما عرفتْ العرب أن الأمثال تتصرف فى أكثر وجوه الكلام وتدخل فى جل أساليب القول أخرجوها فى أقوالها من الألفاظ لِيَخِف استعمالها ويسهل تداولها فهى من أجّل الكلام، وأنبله وأشرفه، وأفضله، لقلة ألفاظها، وكثرة معانيها، ويسر مئونتها على المتكلم مع كبر عنايتها، وجسيم عائدتها، ومن عجائبها أنها مع إيجازها تعمل عمل الإطناب، ولها روعة إذا برزت فى أثناء الخطاب"(١)

ومن خلال قراءتي لما كتبه الشيخ في مجال التفسير وعلوم القرآن لاحظت مدى عنايته ببيان، وشرح الأصل اللغوى للألفاظ القرآنية بما ورد فى الأمثال العربية لتقريب المعنى إلى الذهن.

وقد جاء منهج الشيخ في الاستشهاد بالأمثال العربية من خلال الأمثلة التالية:

المثال الأول: من خلال معايشة الشيخ مع قول الله- تعالى-: **{وَكَذلِكَ جَعَلْناكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَداءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً وَما جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْها إِلاَّ لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلى عَقِبَيْهِ وَإِنْ كانَتْ لَكَبِيرَةً إِلاَّ عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَما كانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَؤُفٌ رَحِيمٌ}** البقرة/ ١٤٣، قال في نهاية تفسيره لها:

"غير أن الذى ينبغي أن يُعْرَف، وتشد اليد به في هذا المقام، هو أن الصفة بالوسط لا تكون من أوصاف المدح والتفضيل إلا في مقامين:

---

(١) انظر: جمهرة الأمثال، للشيخ أبى هلال العسكرى، صـ٤،٥، طـ: دار الفكر، بيروت ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م.

أحدهما: الوسط. **وثانيهما:** ذكر الشهادة

فأما النسب، فلأن أوسط القبيلة أعرفها وأولاها بالصميم، وأبعدها عن الأطراف، والوسيط أبعد من أن يكون دَعْيَاً، لأن الأباء، والأمهات قد أحاطوا به من كل جانب، فبهذا الاعتبار كان الوسط مدحاً في النسب.....

وأما الشهادة، فلأن غاية العدالة في الشاهد أن يكون وسطاً كالميزان لا يميل مع أحد، بل يصمم على الحق تصميماً لا يَجْذبه هوى، ولا تميله رغبة، ولا رهبة من هاهنا، ولا من هاهنا.....

فبهذين الاعتبارين، اعتبار النسب، واعتبار الشهادة، يكون الوسط مدحاً، على خلاف ما ظن كثير من الناس من أن معنى (الأوسط) هو الأفضل على الإطلاق، حتى قالوا في معنى الصلاة الوسطى: أنها الفضلى، وليس كذلك، بل هو- أعنى الوسط- في جميع الأوصاف، لا مدح ولا ذم، كما يقتضى لفظ التوسط، فإن الشاة إذا كانت وسطاً في السمن، فهى بين ذات المخ الكثير في العظام، وبين العجفاء، وإذا كانت المرأة وسطاً في الجمال، فإنها تكون بين الحسناء والشوهاء، إلى غير ذلك من الأوصاف التي لا تعطى مدحاً ولا ذماً، ولذلك قالوا في الأمثال:

(فلان أثقل من مُغِنّ وَسَطٍ)[1] يقصدون بذلك الذم، لأن المغني إن كان مجيداً

(١) استشهاد الشيخ بهذين الاعتبارين، والاستشهاد بهذا المثل قال به كثير من العلماء، انظر: حَاشِيةُ الشِّهَابِ عَلَى تفْسيرِ البَيضَاوِي، الْمُسَمَّاة: عِنَايةُ القَاضِى وكِفَايةُ الرَّاضِى عَلَى تفْسيرِ البَيضَاوي، لشهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي المصري الحنفي ٢٥٠/٢، ط: دار صادر – بيروت، سبل الهدى والرشاد، في سيرة خير العباد، وذكر فضائله وأعلام نبوته وأفعاله وأحواله في المبدأ والمعاد، لمحمد بن يوسف الصالحي الشامي ١٦٧/٢، الروض الأنف، للإمام السهيلي ٣٢١، زهر الأكم في الأمثال و الحكم، لليوسي، ص ١٤٩.

جداً أمتع، وأطرب، وإن كان بارداً جداً أضحك، وألهى، وذلك أيضاً مما يُمْتع"[1]

فيلاحظ من خلال هذا المثال تفسير الشيخ لكلمة (الوسط) بهذين الاعتبارين، وأنه لا بد من توافرهما في هذه الكلمة، واستشهاده بالمثل المذكور سلفاً، للدلالة على نقيض ما يُذكر في المثل المعروف (خير الأمور الوسط) وأن تفسير الوسط بالخيرية، والأفضلية لا يكون على الإطلاق، وما ذكره الشيخ في هذا الصدد قال به كثير من العلماء، حيث قالوا:

"**الخيار**: جمع خير، وهم خلاف الأشرار، وقد يكون الخيار اسما من الاختي، وأمّا الخيار لنوع من القثاء فمولد وظاهره كالكشاف أنّ الوسط يكون بمعنى الخير مطلقاً، كما قالوا: خير الأمور الوسط.

والتحقيق: ما قاله السهيليّ في الروض، أنّ الوسط: وصف مدح في مقامين في النسب، لأنّ أوسط القبيلة أعرقها وصميمها فهو أجدر أن لا تضاف إليه الدعوة، وفي الشهادة كما هنا وهو غاية العدالة كأنه ميزان لا يميل مع أحد.

وظن قوم أنّ الأوسط الأفضل على الإطلاق، وفسروا الصلاة الوسطى بالفضلى، وليس كذلك بل هو لا مدح ولا ذمّ كما يقتضيه لفظ التوسط، غير أنهم قالوا: أثقل من مغن وسط، على الذمّ، لأنه كما قال الجاحظ: يختم على القلب، ويأخذ بالأنفاس، لأنه ليس بجيد فيطرب ولا برديء فيضحك ن وقالوا: أخو الدون الوسط".[2]

المثال الثاني: ومن خلال تفسيره لقوله تعالى: **{يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذا ناجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْواكُمْ صَدَقَةً ذلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ وَأَطْهَرُ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ}** المجادلة /١٢، قال: "كلمة (النجوى) مصدر بمعنى: التناجي،

(١) انظر: تحت راية القرآن، ص ٩٨ – ١٠٠.

(٢) انظر: الهامش الثاني في الصفحة السابقة.

وهو تناول الحديث سراً، بحيث لا يدركه غير المتناجين.....

وربما قال قائلهم: باتت في صدر فلان نَجِيّةً قدْ أَسْهَرَتْه، وهى ما يناجيه من الهم.....[1][2].

وبالحديث عن هذا المطلب أكون قد انتهيت بفضل الله (ﷻ) من الحديث عن الفصل الثالث، طالباً منه سبحانه المدد، والعون، والسداد، والتوفيق، إنه نعم المولى، ونعم النصير.

(١) انظر: أساس البلاغة، لأبي القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله، ص ٤٦٥، نجعة الرائد وشرعة الوارد في المترادف والمتوارد، لإبراهيم اليازجي، ص ١٧٩ .

(٢) انظر: معلنى القرآن،ص ١٠٩.

الخاتمة

الحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات، وتنقضى المطالب والحاجات، وتتنزل الرحمات، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين المبعوث رحمة إلى العالمين سيدنا محمد (ﷺ)، وعلى آله وصحبه الغر الميامين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد،،

فإن لكل بدء خاتمة، ولكل شيء نهاية، وبعد وقت طيب مبارك، ورحلة غامرة بالسعادة عشتها مع هذا البحث، كان لى دوحة ألجأ إلى ثمارها، وأعيش في ظلها الرحب، صحبت من خلالها فضيلة الأستاذ الدكتور الشيخ/ أحمد حسن الباقوري- عليه شآبيب الرحمة والمغفرة- وذلك من خلال كتاباته في مجال التفسير وعلوم القرآن، وحاولت أن أُعرف نفسى، وطلاب العلم على حياة الشيخ، وما خلَفه من آثار علمية في التفسير، وغيره، كما حاولت أن أكشف النقاب عن منهجه فيما فسره لبعض سور القرآن الكريم، وبعض آياته، وما كتبه في بعض مسائل، وقضايا علوم القرآن.

وسأحاول- إن شاء الله- من خلال الحديث عن خاتمة هذا البحث أن أضع تفسير الشيخ الباقورى في الميزان، وأركز على ثلاثة مطالب:

الأول: تفسير الشيخ الباقورى ما له، وما عليه.

الثاني: المدرسة التفسيرية التي ينتمى إليها الشيخ الباقورى.

الثالث: التوصيات والمقترحات.

المطلب الأول

تفسير الشيخ الباقوري ما له، وما عليه

في هذه المطلب سأضع تفسير الشيخ الباقوري في الميزان، لبيان ما له من مميزات تميز بها، وبالتالي يُحْسب له، وأيضاً بيان المآخذ على هذا الجهد البشري، وذلك من خلال عنصرين:

العنصر الأول

مميزات هذا التفسير وما يُحمد عليه الشيخ الباقوري

إن أهمية هذا التفسير تتجلى في الفوائد الجمة التي ضمّنها الشيخ الباقوري فيه، على الرغم من صغر حجمه، وما كتبه في مجال التفسير وعلوم القرآن، ومن أهم هذه الفوائد ما يلي:

١- كان الشيخ الباقوري أحد العلماء البارزين الذين أسهموا من خلال كتاباتهم بنصيب وافر في نشر الثقافة الإسلامية، وخدمة الدين، ومن العلماء الذين كان قراؤهم، ومستمعيهم ينتظرون مقالاتهم، وبرامجهم، فكانت تلاقى أعظم القبول، والاستحسان.

٢- حرص الشيخ الباقوري على نشر العلم، وذلك من خلال التدريس، والتأليف، والافتاء، عبر قاعات العلم، واللقاءات الإذاعية، والتليفزيونية.

٣- وجود أمثال الشيخ الباقوري، وغيره من علمائنا الأجلاء، دلالة واضحة على أن الأمة الإسلامية لم تعدم في عصر من العصور على من يخرج لآلئ القرآن الكريم، واستخراج دره النفيسة، وتوضيح الصورة الصحيحة للإسلام بطريقة لا تعلو على أفهام العامة، ويستفيد منها الخاصة.

٤- عصر الشيخ الباقوري كان يموج بالاضطرابات السياسية، والاجتماعية، والعلمية، والدينية، مما يؤثر على عقلية من يؤلف، ويكتب.

٥- الشيخ الباقورى كانت له شخصية مستقلة بارزة، وقد ظهر ذلك بوضوح في تفسيره، فقد كان كثير التعقيب، والمناقشة، وبيان الراجح من المرجوح، وهذا يدل على النظرة الفاحصة المتأملة الثاقبة- أحياناً- وأن رده، وتعقيبه ليست من أجل النقد ذاته، وإنما لبيان القول الصحيح من غيره.

٦- اعتمد الشيخ الباقورى فيما كتبه على مصادر أصلية، فقد احتوى هذا التفسير على نصوص لغوية، وتفسيرية، وعلمية، وغيرها من كتب الأئمة المتقدمين، وقد أشرت إلى ذلك سلفاً عند حديثى عن المصادر التي استقى منها الشيخ مادة تفسيره.

٧- امتازت كتابات الشيخ بأسلوب واضح سهل ميسر على القارئ، فلم يلجأ الشيخ إلى المعقد من التراكيب، أو الدقائق من الأسرار اللغوية التي ربما لا يعرفها الكثير، مما جعل هذه الكتابات تحظى بالقبول للعامة، والخاصة على السواء.

٨- كذلك امتاز هذا التفسير بخلوّه من القصص التاريخي الذى يُبعد القارئ عن الغرض الأصلى، وهو مجال الهداية، وأخذ العظة، والعبرة، وبيان إعجاز هذا الكتاب الخالد.

٩- ومن مميزاته أيضاً: عدم توسع الشيخ في علم معين، أو فن بذاته، وإنما هو تفسير، وبيان من أجل التفسير، فلا يطغى فيه جانب على الآخر.

١٠- يعد الشيخ الباقورى من رموز الوسطية والاعتدال، وهذا ظاهر بيّن لمن يقرأ له، ويستمع إليه من خلال تسجيلاته المرئية، والسمعية.

١١- كان الشيخ الباقورى حريصاً على مقاومة التعصب الديني البغيض، ودلالة ذلك: حرصه على الوحدة الوطنية بين المسلمين والمسيحيين، ودعوة الأساقفة منهم لإلقاء المحاضرات المشتركة في رحاب الأزهر الشريف.

١٢- عمل الشيخ الباقورى، وصرَف وقته كثيراً للتقريب بين المذاهب الإسلامية، بغية إزالة الخلاف بينهم، وذلك عن طريق دراسة كل منهم لمذهب الآخر، كما فعل بين أهل السنة والجماعة، وإخوانهم من الشيعة.

١٣- من خلال معايشتى مع الشيخ الباقورى، لاحظت أنه كان إلى الأدباء أقرب منه إلى العلماء، لذا عُرف واشتهر بالخطابة، والشعر، أكثر مما عُرف بالفقه، والبحث العلمي.

١٤- لاحظت كثرة نقول الشيخ، واستشهاده عن المسلمين، وغيرهم من أصحاب الملل الأخرى لإثبات صحة ما يذهب إليه، وهو ما يدل على كثرة إطلاعه، وسعة أفقه.(١)

١٥- كان الشيخ الباقورى صاحب منهج علمى رصين، جمع بين التفسير بالمأثور بأنواعه الأربعة، فكان يُعنى بما ورد في القرآن الكريم من التوضيح، والبيان لبعض سوره، وآياته، كما كان يُعنى بما ورد في ثنايا السنة النبوية الشريفة والتي كانت بمثابة البيان لكثير من معانى القرآن الكريم، معتمداً في الأعم الأغلب على ما صح منها، اللهم إلا استشهاده في مواضع نادرة بالضعيف منها، وقد أشرت إلى حُكم العلماء عليها من خلال حواشى البحث، كما كان لا يفوته أن يستشهد بأقوال الصحابة والتابعين، مما يخدم، ويفيد في بيان، وفهم بعض آيات القرآن الكريم.

١٦- وبما أن علوم القرآن من الأهمية بمكان لمن أراد أن يقدم على تفسير كتاب الله (ﷻ)، ولذا يجب على المفسر قبل الشروع في التفسير أن يكون ملماً بعلوم القرآن، وما قيل فيها، وأن ما يستنبط منها بحر لا ساحل له، فهذه

---

(١) انظر مثلا: معانى القرآن، ص ١٢٢، ١٤٣، ١٤٤.

العلوم– التي هي الآلة للمفسر– من فسَّر بدونها، كان مفسراً بالرأي المنهي عنه، وإذا فسر مع حصولها لم يكن مفسراً بالرأي المنهي عنه"[1]، من أجل هذا: وجدت أن الشيخ الباقورى اعتنى اعتناء بالغاً بهذا الفن، فأدلى بدلوه في كثير من مسائله.

١٧– لم يعْن الشيخ الباقورى كثيراً بالقراءات، فقد كان مقلاً في ذكرها، وما أورده فيها كان يعزوها لقائليها، مع توجيهها تفسيرياً.

١٨– اعتنى الشيخ الباقورى بعلم أسباب النزول اعتناء بالغاً، ومنهجه فيه قائم على التأسيس، والتأصيل أولاً، والاستفادة منه ثانياً في خدمة تفسيرالقرآن الكريم، فقام بتعريف هذا العلم، وبيان أهميته، وذكر أقسامه، وتعدد السبب في الآية الواحدة، وأورد الأمثلة على ذلك، منها ما هو بنصه وفصه، ومنها ما هو بالمعنى، وهو في ذلك يعتمد في الأعم الأغلب على الصحيح منها.

١٩– كان الشيخ الباقورى مقلاً جداً من إيراد الاسرائيليات، – وما ذكره منها كان يدور في فلك ما هو مسكوت عنه في شرعنا–، وإعراضه عما لا فائدة فيه، ومما يحسب له أنه كان يقوم بالرد على بعضها، وبيان زيفها، وبطلانها، وأنه لم يقم عليها دليل من نص صريح، أو خبر صحيح.

٢٠– كذلك لاحظت من خلال تفسير الشييخ الباقورى أنه كان مقلاً جدا من عقد المناسبات بين السور، والآيات، فلم يذكر منها إلا القليل النادر، والتي أشرت لها سلفاً.

٢١– وقف الشيخ الباقورى من مسألة الظاهر والباطن في القرآن الكريم موقفاً وسطاً يتفق مع عقيدة أهل السنة والجماعة، وهو أن الباطن لا يمكن بحال

---

(١) الإتقان: ١٨٧/٤، ١٨٨.

من الأحوال أن يتعارض مع الظاهر من النصوص القرآنية، وإذا تعارض معه فيُرد على صاحبه، وبهذا المنهج يكون الشيخ قد خالف مذهب الشيعة، والروافض، والباطنية، والإمامية الإثنا عشرية.

٢٢- أما بالنسبة عن موقفه من المسائل العقدية، فقد كان منهجه فيها منهجاً وسطاً، بعيداً عن التعمق الكلامي، أو الفلسفي فيها، وذلك من خلال معايشته مع بعض مسائل آيات متشابه الصفات، وحديثه عن صفة الاستواء، والحياء، والرحمة، وقد جاء منهجه فيها سائراً، ومنسوجاً على منوال عقيدة أهل السنة والجماعة.

٢٣- كان الشيخ الباقورى مقلاً جداً من إيراد المسائل الفقهية، فكان يعرض آراء الفقهاء بإيجاز شديد، وما ذكره فيها كان قائماً على الوسطية والاعتدال، دون تعصب لمذهب معين.

٢٤- ومما جنيته من ثمار في هذا البحث: أن الشيخ الباقورى عنى بالجانب اللغوى في تفسير القرآن الكريم، فقد اهتم اهتماماً كبيراً بشرح الألفاظ الغريبة، وأصل اشتقاقها، مستعيناً في ذلك بنظائرها في القرآن الكريم، والحديث والأثر، ولغة العرب، وأرى أن السر في ذلك: غلبة تخصصه الأكاديمي عليه، وهذا واضح في كل ما يتعلق بعلوم اللغة العربية.

٢٥- أما استشهاد الشيخ الباقورى بأشعار العرب، وأمثالهم، فهى كثيرة جداً، وتوسع فيها، وهى في الأعم الأغلب منسوبة لقائليها.

٢٦- تبين لى من خلال دراستى: إيراد الشيخ الباقورى لبعض الفروق اللغوية بين الألفاظ المترادفة، إلا أنه كان وسطاً في ذكرها.

٢٧- توصلت من خلال هذا البحث: أن الشيخ الباقورى لم يُعنى بعلوم البلاغة الثلاثة، فكان مقلاً جداً من الاستشهاد بها، اللهم ما أورده فيما يتعلق بعلم

البيان من ذكره للكناية، والتعريف بها، وبيان أقسامها، وضرب الأمثلة على ذلك.

٢٨- مما يحمد للشيخ الباقورى: ردّه، وتضعيفه لكثير من الأقوال المنحرفة الباطلة، والتي من شأنها التعارض مع الشرع، والعقل، كدعوى انتشار الإسلام بالسيف... إلخ.

٢٩- ومن النتائج التي أثمرت عنها دراستى لما كتبه الشيخ الباقورى: أن الشيخ الباقورى وقف من التفسير العلمي موقف المعتدلين، الذين أجازوه بشروط، وضوابط خاصة، وموقفه هذا ثبت بالدليل أنه الموقف الصحيح، فقد اتخذ (رحمه الله) من التفسير العلمي وسيلة لتعميق الشعور الديني عند المسلم، والذب عن العقيدة ضد المغرضين، وجعل أيضاً (رحمه الله) القرآن الكريم هو المرجع، والحكم في النظريات العلمية، وبذلك يتضح توسيع مدلول النص القرآني، وصدق معناه، القائل: **{سَنُرِيهِمْ آياتِنا فِي الْآفاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ}** فصلت/ ٥٣.

٣٠- من محاسن هذه الدراسة: دفاع الشيخ الباقورى عن ساحة بعض الصحابة- رضوان الله عليهم- وتبرئتهم مما نُسب إليهم، كصنيعه في الذود عن سيدنا الوليد بن عقبة (رضي الله عنه)، وعدم تسميته بالفاسق، كما أنه نافح عن ساحة سيدنا عبد الله بن مسعود (رضي الله عنه) حين تحامل عليه بعض أهل العلم في أنه لم يكن يعتبر المعوذتين سورتين من القرآن الكريم، بدليل أنه لم يثبتهما في مصحفه، كما صوّر ذلك ابن قتيبة، وحجته في ذلك: لأنه كان يسمع رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يُعوذ الحسن والحسين بهما، ففهم أنهما بمنزلة: "أعيذكما بكلمات

الله التامة، من كل شيطان وهامة، ومن كل عين لامة"[1] وكان رد الشيخ الباقورى على ذلك: أنه لم يثبتهما في مصحفه لأنه أَمِن عليهما من النسيان، كما أنه لم يثبت الفاتحة أيضاً في مصحفه، فهل يعنى ذلك أنه لا يعتبر الفاتحة من القرآن؟[2].

٣١- عناية الشيخ الباقورى، ببيان كيف يكون الأدب مع الله، ومع رسوله (ﷺ)، وذلك من خلال عرضه، ووقوفه مع آيات النداء الواردة في سورة الآداب، والأخلاق، سورة الحجرات.[3]

٣٢- اهتمام الشيخ الباقورى أيضاً بتوضيح، وإيراد بعض الآداب الاجتماعية، والتي لا بد أن يتحلى بها المجتمع المسلم من خلال تفسيره، ومعايشته مع بعض آيات سورة النور، وبذلك تتقوى روابط المجتمع المسلم، كحديثه مثلاً

---

(١) قال العلماء في الدفاع عن ساحة سيدنا عبد الله بن مسعود: قال أبو بكر الأنباري: وهذا مردود على ابن قتيبة، لأن المعوذتين من كلام رب العالمين، المعجز لجميع المخلوقين، و" أعيذكما بكلمات الله التامة" من قول البشر بين. وكلام الخالق الذي هو آية لمحمد (ﷺ) خاتم النبيين، وحجة له باقية على جميع الكافرين، لا يلتبس بكلام الآدميين، على مثل عبد الله بن مسعود الفصيح اللسان، العالم باللغة، العارف بأجناس الكلام، وأفانين القول. وقال بعض الناس: لم يكتب عبد الله المعوذتين لأنه أمن عليهما من النسيان، فأسقطهما وهو يحفظهما، كما أسقط فاتحة الكتاب من مصحفه، وما يشك في حفظه وإتقانه لها. فرد هذا القول على قائله، فَلَعَلَّهُ لَمْ يَسْمَعْهُمَا مِنَ النَّبِيِّ (ﷺ) وَلَمْ يَتَوَاتَرْ عِنْدَهُ، ثُمَّ لَعَلَّهُ قَدْ رَجَعَ عَنْ قَوْلِهِ ذَلِكَ إِلَى قَوْلِ الْجَمَاعَةِ، فَإِنَّ الصَّحَابَةَ (ﷺ) أثبتوهما فِي الْمَصَاحِفِ الْأَئِمَّةِ وَنَفَّذُوهَا إِلَى سَائِرِ الْآفَاقِ، انظر: الجامع لأحكام القرآن ٢٥١/٢٠، تفسير ابن كثير ٥٠٠/٨، اللباب ٥٦٨/٢٠، فتح القدير ٦٣٧/٥.

(٢) انظر: معانى القرآن، ص ٢٥٠.

(٣) انظر: مع القرآن، ص ١٧٩ – ١٨٧.

عن: أدب الاستئذان، وغض البصر، وعقوبة وأثر قذف المحصنات الغافلات..... إلخ.[١]

٣٣- كذلك من نتائج هذا البحث: حِرْص الشيخ الباقورى على المعايشة مع التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، كحديثه مثلاً: عن آيات السؤال التي وردت بسورة البقرة[٢].

والحديث عن الكعبة، والحجر الأسود، وبيان فضلهما، وجمع الآيات القرآنية التي لها تعلق بهذا الصدد، ..... إلخ الموضوعات الأخرى.[٣]

٣٤- يحسب للشيخ الباقورى أيضاً: اهتمامه ببعض المسائل، والقضايا العصرية الواقعة في عصرنا المحاضر، كإيراده، وحديثه عن: الخِطبة، وسنة الزواج[٤]، والارتباط في ذلك بين الماضي والحاضر، وأيضاً حديثه: عن قضية تعدد الزوجات[٥]، والتكافل الاجتماعى..... إلخ الموضوعات التي لها تعلق بمشكلات مجتمعه، ووجود الحلول لها، مما يدل على أن الشيخ الباقورى لم يكن بمنأى عن المجتمع الذى كان يعيش فيه، إذ كان كثيراً ما يُنزل تفسير الآيات على المجتمع، وأحواله، كى يعالج ما انتشر فيه من أوبئة، وأمراض اجتماعية.

٣٥- تبين لى من خلال هذه الدراسة: أن الشيخ الباقورى كان يهتم بنكات التفسير، ولطائفه، ودقائقه، وقد سلك في ذلك عدة مسالك، منها:

---

(١) انظر: مع القرآن، ص ١٨٧ – ١٩٦.

(٢) انظر: مع القرين، ص ١٠٨ – ١٧٦.

(٣) انظر: معانى القرآن، ص ١٣ – ٢١.

(٤) انظر: تحت راية القرآن، ص ٧١ – ٧٣.

(٥) انظر: معانى القرآن، ص ١١٧ – ١٢٩، ومن ص ١٣٦ – ١٣٨.

(أ) ذكره للآية القرآنية، وإيراد بعض الاعتراضات عليها، وذلك على هيئة أسئلة، ثم يجيب عليها، وكما قلنا سابقاً بأن هذا المنهج من أفضل المناهج، التي من شأنها، بعث التأمل، وإيقاظ الفكر، وشحذ الهمة، والقدرة على التدبر، وقوة الاستنباط.

(ب) عنايته بالجمع بين الآيات التي يوهم ظاهرها التعارض.

(ج) ذكره أحياناً لما يرد في بعض الآيات من دروس، وعبر، وفوائد، قد يُوحى بها اللفظ القرآني.

العنصر الثاني

ما يؤخذ على تفسير الشيخ الباقورى

بحكم أن ما كتبه الشيخ في مجال التفسير وعلوم القرآن، جهد وعمل بشري، فإنه لم يتسم بالكمال، ولذا فإن عليه بعض الملاحظات، والمآخذ، منها:

١- ورود بعض الأحاديث الضعيفة، وهى من باب الإنصاف قليلة جداً، مقارنة بالأحاديث الصحيحة التي وردت فى هذا التفسير، وقد أشرت إليها سلفاً في كثير من الحواشي.

٢- عند نقله واستشهاده لبعض النصوص المستقاه من السابقين عليه، والمعاصرين له، لا يهتم بذكر رقم الجزء، والصفحة، وهذه سمة غالبة في تفسيره.

٣- عدم ذكره في الأعم الأغلب لأرقام الآيات، وأسماء السور التي يستشهد بها.

٤- يؤخذ على الشيخ الباقورى أيضاً: مخالفته أحياناً لجمهور المحققين من العلماء في بعض القضايا، وقد أوردت ذلك عند حديثي عن موقفه من قضية سحر النبي (ﷺ)، وأنه خالف فيهما رأى الجمهور.

٥- مما يؤسف للشيخ: إنكاره لعلم النسخ، ونهجه في ذلك نهج أبى مسلم الأصفهاني، جملة وتفصيلاً، سواء كان هذا القول وما ذهب إليه أبو مسلم راجحاً، أم مرجوحاً.

٦- إيراده لبعض الإسرائيليات المسكوت عنها في شرعنا، والتي لم يرد عليها نص صريح، أو خبر صحيح، وهى من باب الإنصاف نادرة جداً، وكان الأولى عليه أن يقتصر على ما ورد في كتاب الله- تعالى- وسنة رسوله (ﷺ).

المطلب الثاني

المدرسة التفسيرية التي ينتمي إليها تفسير الشيخ الباقورى

بعد هذا العرض الذى انتهينا منه بفضل الله (ﷻ)، وهو النظر، والحديث عن الدراسة التحليلية النقدية لما كتبه الشيخ الباقورى في مجال التفسير وعلوم القرآن، أقول:

إن هذا التفسير، تفسير قيّم، تأثر فيه الشيخ الباقورى بالمفسرين من مختلف المدارس التفسيرية، فمنها ما غلب عليها التفسير بالمأثور، ومنها ما غلب عليها التفسير بالرأى، ومنها ما غلب عليها اللون الأدبي، والاجتماعي، والعلمي، ومنها ما جمع بين المأثور والرأى، وهذا انعكس على تفسير الشيخ الباقورى، إلا أنه من خلال معايشتي مع هذا التفسير لاحظت أنه أقرب إلى التفسير بالرأى منه إلى التفسير بالمأثور، فقد أكثر منه إلى الحد الذى عُدّ به، أن ما كتبه من تفسير ضمن التفسير بالرأى المحمود، وهذا ظاهر جلىّ في كتاباته، وأيضاً من خلال مصادره التي استقى منها مادة تفسيره، وأغلبها تفاسير بالرأى.

وخلاصة القول: إن تفسير الشيخ الباقورى من التفسير بالرأى المَوْشِيّ بقليل من الأثر.

والله تعالى أعلم

المطلب الثالث

الاقتراحات والتوصيات

في الختام يحسن بى أن أُوجه بعض التوصيات، والمقترحات، والتي جاءت على النحو التالى:

أولا: التعريف بالشيخ الباقورى، وبيان مكانته العلمية، وذلك من خلال وسائل الإعلام المسموعة، والمرئية، والمقروءة، للدلالة على أن الأمة الإسلامية لم تزل تُنجب من يقوم على خدمة الإسلام، ونشر علومه، واستخراج درر القرآن الكريم، ونفائسه الغالية.

ثانيا: أقترح أن يُكوّن الأزهر لجنة من العلماء تُنقب في جنبات مكتبات العالم، عما جَدّ من مؤلفات، ومخطوطات، وسرعة اقتنائها، وضمّها لمكتبة الأزهر، لما للأزهر من العراقة، والأصالة، والحضارة، ما ليس لغيره من الجهات المتخصصة في نشر العلوم الشرعية، وأظن أن هذا الأمر أصبح ميسوراً، نظراً لتقدم وسائل التكنولوجيا الحديثة، من شبكات الانترنت، وغيرها.

ثالثا: أقترح طبع ما كتبه الشيخ الباقورى في مجال التفسير وعلوم القرآن في مجلد كبير، وما كتبه من مقالات، ومؤلفات في غيره، حتى تكون زاداً باقياً في متناول الجميع، فضلاً عن طلاب العلم.

وختاما،،،

فبعد رحلة طويلة ممتعة، عشت من خلالها في رحاب هذا التفسير، تعرفت منها على شخصية مؤلفه، وحياته، ودراسة تفسيره دراسة تحليلية نقدية، أشدت بجوانب الإجادة فيه، ووقفت على الجوانب التي حالفه التوفيق فيها، وأيضاً على المواطن التي جانبه التوفيق فيها، موقفاً إيجابياً، مستعيناً بالله (ﷻ)، ثم بتوجيهات

السادة العلماء القدامى، والمحْدَثين، فأرجو أن أكون منصفاً فيما حالفه التوفيق فيها، وما يُحمد عليه، وموفقاً فيما وجهت، وأخذت عليه من مآخذ، حتى لا يحاجني الشيخ في يوم وصفه الله بقوله: {**الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلاَّ الْمُتَّقِينَ**} الزخرف/ ٦٧.

وأحمد الله- تعالى- أن وفقني، وأعانني على إتمام هذا البحث، فإليه يرجع الأمر كله، كما أسأله (ﷻ) أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، وأن يجعله في موازين حسناتي، أنا وشيخي الباقورى، وأساتذتى، ومشايخي، إنه على كل شيء قدير، وبالإجابة جدير، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

وصلّ اللهم وسلم وبارك على خير البرية، ورسول الإنسانية سيدنا محمد (ﷺ) وعلى آله وصحبه الأخيار، وسلم تسليماً كثيراً يارب العالمين.

اللهم آمين

الباحث

عاطف محمد محمود الخولي
مدرس التفسير وعلوم القرآن
بكلية أصول الدين بالقاهرة
جامعة الأزهر

الفهارس

أولا: ثبت المصادر والمراجع

١- القرآن الكريم.

٢- المفردات في غريب القرآن، لأبي القاسم الحسين بن محمد، المعروف بالراغب الأصفهاني، ت: صفوان عدنان الداودي، ط: دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ.

٣- البلاغة الواضحة، لعلي الجارم، ومصطفي أمين، ت: على نايف الشحود.

٤- المؤتمر العلمي الدولي الثالث، دور الأزهر في النهوض بعلوم اللغة العربية وآدابها والفكر الإسلامي، الناشر: جامعة الأزهر، كلية اللغة العربية بالزقازيق، العدد الثالث، ٢٠١٢م.

٥- سنن أبى داود، لأبى داود بن الأشعث الأزدى السجستاني، ت: شعيب الأرنؤوط، ط : دار الرسالة العالمية، الطبعة الأولى ١٤٣٠هـ، ٢٠٠٩م.

٦- بقايا ذكريات، للشيخ أحمد حسن الباقورى، ط: مركز الأهرام للترجمة والنشر، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م.

٧- مجلة الوعي الإسلامي، التابعة لوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، العدد ٦٤، سنة ١٩٧٠م، يونيو/ ربيع الثاني.

٨- مجلة التوحيد، جماعة أنصار السنة المحمدية، الصفحات، العدد السادس، سنة ١٩٨١م.

٩- تاريخ الأدب العربي العصر الجاهلي، دكتور/ شوقي ضيف، ط: دار المعارف، مصر.

١٠- مع القرآن، للشيخ أحمد حسن الباقورى، ط: دار المدني، القاهرة.

١١- تحت راية القرآن، للشيخ أحمد حسن الباقورى، ط: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، التابع لوزارة الأوقاف، مصر.

١٢- تفسير القرآن العظيم، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري، ت: محمد حسين شمس الدين، ط: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ.

١٣- لباب التأويل في معاني التنزيل، لعلاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر، المعروف بالخازن، ت: محمد علي شاهين، ط: دار الكتب العلمية- بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ.
١٤- فتح القدير الجامع بين فني الرواية و الدراية من علم التفسير، لمحمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني، ط: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى ١٤١هـ.
١٥- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، لمحمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الشنقيطي، ط: دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، ١٤١٥هـ- ١٩٩٥م.
١٦- جامع البيان في تأويل القرآن، لمحمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب، أبو جعفر الطبري، ت: أحمد محمد شاكر، ط: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م.
١٧- الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، ت: أحمد البر دوني، وإبراهيم أطفيش، ط: دار الكتب المصرية- القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ- ١٩٦٤م.
١٨- لسان العرب، لمحمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، ط: دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى.
١٩- العلل المتناهية في الأحاديث الواهية، لعبد الرحمن بن علي بن الجوزي، ت: خليل الميس، ط: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ.
٢٠- كشف الخفاء ومزيل الالباس عما اشتهر من الاحاديث على ألسنة الناس، للعجلوني، إسماعيل بن محمد الجراحي، ط: دار إحياء التراث العربي.
٢١- المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة لعبد الرحمن السَّخاوي، ط: دار الكتاب العربي.

٢٢- البدر المنير في تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في الشرح الكبير، لابن الملقن سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الشافعي المصري، ت: مصطفى أبو الغيط، وعبدالله بن سليمان، وياسر بن كمال، ط: دار الهجرة للنشر والتوزيع، الرياض، السعودية، الطبعة: الاولى، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.
٢٣- أنوار التنزيل وأسرار التأويل، لناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي، ت: محمد عبد الرحمن المرعشلي، ط: دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ.
٢٤- الوجوه والنظائر، لأبي هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري، ت: محمد عثمان، ط: مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٨هـ، ٢٠٠٧م،
٢٥- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، لمجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى، ت: محمد علي النجار، ط: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة.
٢٦- مجمع الأمثال، لأبي الفضل أحمد بن محمد الميداني النيسابوري، ط: دار المعرفة، بيروت، ت: محمد محيى الدين عبد الحميد.
٢٧- بدائع الفوائد، لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، ط: دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.
٢٨- تفسير الماوردي، المسمى، النكت والعيون، لأبي الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي، ت: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، ط: دار الكتب العلمية- بيروت/ لبنان.
٢٩- تفسير المظهري، لمحمد ثناء الله المظهري، ت: غلام نبي التونسي، ط: مكتبة الرشدية، باكستان، الطبعة: ١٤١٢هـ.

٣٠- الجامع الصحيح، لمحمد بن إسماعيل، أبو عبد الله البخارى، ط: دار ابن كثير، اليمامة، بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م.
٣١- فيض القدير شرح الجامع الصغير، لزين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي، ثم المناوي القاهري، ط: المكتبة التجارية الكبرى، مصر، الطبعة: الأولى، ١٣٥٦هـ.
٣٢- الجامع الصحيح سنن الترمذي، لمحمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي، ط: دار إحياء التراث العربي- بيروت، ت: أحمد محمد شاكر وآخرون.
٣٣- الجامع الصحيح المسمى صحيح مسلم، لأبى الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري، ط: دار الجيل بيروت، دار الأفاق الجديدة، بيروت.
٣٤- المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، لأبي زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، ط: دار إحياء التراث العربي- بيروت، الطبعة: الثانية، ١٣٩٢هـ.
٣٥- معالم التنزيل في تفسير القرآن، لمحيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي، ت: عبد الرزاق المهدي، ط: دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ.
٣٦- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب، لأبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، ت: عبد السلام عبد الشافي محمد، ط: دار الكتب العلمية، لبنان، الطبعة: الأولى ١٤١٣هـ، ١٩٩٣م.
٣٧- الدر المنثور في التفسير بالمأثور، لعبد الرحمن بن الكمال جلال الدين السيوطي، ط: دار الفكر- بيروت، ١٩٩٣م.
٣٨- زاد المسير في علم التفسي، لجمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، ت: عبد الرزاق المهدي، ط: دار الكتاب العربي- بيروت، الطبعة: الأولى- ١٤٢٢هـ.

٣٩- الاستذكار، لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي، ت: سالم محمد عطا، محمد علي معوض، ط: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م.
٤٠- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، ط: دار إحياء التراث العربي- بيروت، ت: عبد الرزاق المهدي.
٤١- الكشف والبيان عن تفسير القرآن، لأحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق، ت: الإمام أبي محمد بن عاشور، ط: دار إحياء التراث العربي، بيروت- لبنان، الطبعة: الأولى ١٤٢٢هـ- ٢٠٠٢م.
٤٢- الأساس في التفسي، لسعيد حوّى، ط:دارالسلام- القاهرة، الطبعة: السادسة، ١٤٢٤هـ.
٤٣- البحر المحيط في التفسير، لأبى حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي، ت: صدقي محمد جميل، ط: دار الفكر- بيروت، الطبعة: ١٤٢٠هـ.
٤٤- فتحُ البيان في مقاصد القرآن، لأبي الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القِنَّوجي، راجعه: عَبد الله بن إبراهيم الأنصَاري، ط: المَكتبة العصريَّة للطبَاعة والنّشْر، صَيدَا، بَيروت، عام النشر: ١٤١٢هـ، ٩٩٢ م.
٤٥- تاج العروس من جواهر القاموس، لمحمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي، ت: مجموعة من المحققين، الناشر: دار الهداية.
٤٦- مسند الإمام أحمد بن حنبل، لأبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، ت: أحمد محمد شاكر، الناشر: دار الحديث- القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤١٦هـ، ١٩٩٥م.

٤٧- المستدرك على الصحيحين، لمحمد بن عبدالله أبو عبدالله الحاكم النيسابوري، ت: مصطفى عبد القادر عطا، ط: دار الكتب العلمية- بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ- ١٩٩٠م.
٤٨- الحجة في القراءات السبع، للحسين بن أحمد بن خالويه، أبو عبد الله، ت: د. عبد العال سالم مكرم، الأستاذ المساعد بكلية الآداب- جامعة الكويت، ط: دار الشروق، بيروت، الطبعة: الرابعة، ١٤٠١هـ.
٤٩- حجة القراءات، لعبد الرحمن بن محمد، أبو زرعة ابن زنجلة، ت: سعيد الأفغاني، ط: دار الرسالة.
٥٠- إبراز المعاني من حرز الأماني، لأبي القاسم شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسي الدمشقي المعروف بأبي شامة، ط: دار الكتب العلمية.
٥١- التحرير والتنوير، للشيخ محمد الطاهر بن عاشور، ط: دار سحنون للنشر والتوزيع- تونس- ١٩٩٧م.
٥١- الحجة للقراء السبعة، للحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسيّ الأصل، أبو علي، ت: بدر الدين قهوجي- بشير جويجابي، ط: دار المأمون للتراث، دمشق/ بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤١٣هـ- ١٩٩٣م.
٥٢- السنن الكبرى، لأبي بكر أحمد بن الحُسَين بن عليٍّ البيهقي، ت: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط: مركز هجر للبحوث والدراسات العربية، الطبعة: الأولى، ١٤٣٢هـ- ٢٠١١م.
٥٣- زاد المعاد في هدي خير العباد، لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، ط: مؤسسة الرسالة، بيروت- مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، الطبعة: السابعة والعشرون , ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م.
٥٤- تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم، لأبي محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم، ت: أسعد

محمد الطيب، ط: مكتبة نزار مصطفى الباز- المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثالثة- ١٤١٩هـ.
٥٥- أسباب نزول القرآن، لأبي الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، ت: كمال بسيوني زغلول، ط: دار الكتب العلمية- بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١١هـ.
٥٦- أسباب نزول القرآن، لأبي الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، ت: عصام بن عبد المحسن الحميدان، ط: دار الإصلاح- الدمام، الطبعة: الثانية، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.
٥٧- مناهل العرفان في علوم القرآن، لمحمد عبد العظيم الزُّرْقاني، ط: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، الطبعة: الطبعة الثالثة.
٥٨- الإتقان في علوم القرآن، لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط: الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة: ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م.
٥٩- البرهان في علوم القرآن، لأبي عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط: دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه، الطبعة: الأولى، ١٣٧٦هـ- ١٩٥٧م.
٦٠- الموافقات، لإبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي، ت: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، ط: دار ابن عفان، الطبعة: الطبعة الأولى ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.
٦١- المدخل لدراسة القرآن الكريم، لمحمد بن محمد بن سويلم أبو شُهبة، ط: مكتبه السنة- القاهرة الطبعة: الثانية، ١٤٢٣هـ- ٢٠٠٣م.
٦٢- مباحث في علوم القرآن، لمناع بن خليل القطان، ط: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الطبعة: الطبعة الثالثة ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م.

٦٣- الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام، لأبى القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد السهيلي، ت: عمر عبد السلام السلامي، ط: دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة: الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.
٦٤- الكامل في اللغة والأدب، لمحمد بن يزيد المبرد، أبو العباس، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط: دار الفكر العربي- القاهرة، الطبعة: الطبعة الثالثة ١٤١٧هـ- ١٩٩٧م.
٦٥- شرح العقيدة الطحاوية، لصدر الدين محمد بن علاء الدين عليّ بن محمد ابن أبي العز الحنفي، الأذرعي الصالحي الدمشقي، ت: شعيب الأرنؤوط- عبد الله بن المحسن التركي، ط: مؤسسة الرسالة- بيروت، الطبعة: العاشرة، ١٤١٧هـ- ١٩٩٧م.
٦٦- إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، لمحمد بن محمد العمادي، أبو السعود، ط: دار إحياء التراث العربي، بيروت.
٦٧- زهرة التفاسير، لمحمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة، ط: دار الفكر العربي.
٦٨- التسهيل لعلوم التنزيل، لأبي القاسم، محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، ابن جزي الكلبي الغرناطي، ت: الدكتور عبد الله الخالدي، ط: شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، الطبعة: الأولى- ١٤١٦هـ.
٦٩- الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه، لأبي محمد مكي بن أبي طالب حَمّوش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني ثم الأندلسي القرطبي المالكي، ت: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي، جامعة الشارقة، بإشراف أ. د: الشاهد البوشيخي، ط: مجموعة بحوث الكتاب والسنة- كلية الشريعة والدراسات الإسلامية- جامعة الشارقة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩هـ- ٢٠٠٨م.

٧٠- محاسن التأويل، لمحمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي، ت: محمد باسل عيون السود، ط: دار الكتب العلميه- بيروت، الطبعة: الأولى- ١٤١٨هـ.
٧١- التفسير المأمون على منهج التنزيل والصحيح المسنون، للأستاذ الدكتور مأمون حموش، المدقق اللغوي: أحمد راتب حموش، الطبعة: الأولى، ١٤٢٨هـ- ٢٠٠٧م.
٧٢- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، لبرهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي، ط: دار الكتب العلمية- بيروت- ١٤١٥هـ- ١٩٩٥م.
٧٣- البداية والنهاية، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، ط: دار الفكر، عام النشر: ١٤٠٧هـ- ١٩٨٦م.
٧٤- الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير، لمحمد بن محمد بن سويلم أبو شُهبة، ط: مكتبة السنة، الطبعة: الرابعة.
٧٥- تهذيب التهذيب، لأبي الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، ط: مطبعة دائرة المعارف النظامية، الهند، الطبعة: الطبعة الأولى، ١٣٢٦هـ.
٧٦- ميزان الاعتدال في نقد الرجال، لشمس الدين محمد بن أحمد الذهبي، ت: الشيخ/ علي محمد معوض والشيخ/ عادل أحمد عبدالموجود، ط: دار الكتب العلمية، سنة النشر ١٩٩٥، بيروت.
٧٧- المعجزة الكبرى القرآن، لمحمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة، ط: دار الفكر العربي.
٧٨- التفسير والمفسرون، للدكتور محمد السيد حسين الذهبي، ط: مكتبة وهبة، القاهرة.

٧٩- علوم القرآن عند الشاطبي من خلال كتابه الموافقات، للأستاذ الدكتور/ محمد سالم أبو عاصي، ط: دار البصائر، القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م.
٨٠- الديباج على مسلم لعبد الرحمن بن أبى بكر السيوطى، ت: أبو إسحاق الحوينى الأثرى، ط: دار ابن عفان، السعودية ١٤١٦هـ ١٩٩٦م.
٨١- تنوير الحوالك شرح موطأ مالك، لعبد الرحمن بن أبى بكر السيوطى، ط: المكتبة التجارية الكبرى، مصر ١٣٨٩هـ ١٩٦٩م.
٨٢- حاشية السندى على النسائى، لنور الدين بن عبد الهادى، أبو الحسن السندى، ت:
عبد الفتاح أبو غدة، ط: مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، ١٤٠٦هـ ١٩٨٦م.
٨٣- تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، لأبي العلا محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفورى، ط: دار الكتب العلمية- بيروت.
٨٤- الناسخ والمنسوخ لهبة الله بن سلامة بن نصر المقري:، تحقيق زهير الشاويش ومحمد كنعان، طبعة المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٤هـ.
٨٥- أحكام القرآن، للقاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري الأشبيلي المالكي، ت: محمد عبد القادر عطا، ط: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م.
٨٦- نواسخ القرآن لعبد الرحمن بن على بن محمد بن الجوزى، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٥هـ.
٨٧- قلائد المرجان في بيان الناسخ والمنسوخ في القرآن، لمرعي بن يوسف بن أبى بكر بن أحمد الكرمى المقدسي الحنبلى، ت: سامي عطا حسن، ط: دار القرآن الكريم- الكويت.
٨٨- عون المعبود شرح سنن أبي داود، لمحمد شمس الحق العظيم آبادي أبو الطيب، ط: دار الكتب العلمية- بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٥هـ.

٨٩- فتح الباري شرح صحيح البخاري، لأحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، ط: دار المعرفة- بيروت، ١٣٧٩رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي.
٩٠- الناسخ والمنسوخ لأبى بكر بن العربى، ت: عبد الكبير العلوى، ط: مكتبة الثقافة الدينية ١٤١٢هـ، ١٩٩٢م.
٩١- صفوة الراسخ فى علم المنسوخ والناسخ لأبى عبد الله شعلة، ت: د/ محمد إبراهيم عبد الرحمن، ط: مكتبة الثقافة الدينية ١٤١٤هـ- ١٩٩٥م.
٩٢- تفسير القرآن العزيز لأبى عبد الله محمد بن عبد الله بن أبى زمنين، ت: أبو عبد الله حسين ابن عكاشة، محمد بن مصطفى الكنز، ط: دار الفاروق الحديثة، مصر، القاهرة ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٢م.
٩٣- تفسير القرآن لعبد الرازق بن همام الصنعاني، ت: د/ مصطفى مسلم محمد، ط: مكتبة الرشد، الرياض- ١٤١٠هـ.
٩٤- الناسخ والمنسوخ لقتادة بن دعامة بن قتادة السدوسى، ت: دكتور/ حاتم صالح الضامن، طبعة مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٤هـ.
٩٥- أحكام القرآن، لأحمد بن علي أبو بكر الرازي الجصاص الحنفي، ت: عبد السلام محمد علي شاهين، ط: دار الكتب العلمية بيروت- لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م.
٩٦- التوحيد وإثبات صفة الرب، لأبى بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة، ط: دار الكتب العلمية، بيروت الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ.
٩٧- الصفات الإلهية فى الكتاب والسنة فى ضوء الإثبات والتنزيه، لفضيلة الشيخ الدكتور/ محمد أمان على الجامى، الطبعة الأولى بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

٩٨- العلو للعلىّ الغفار فى إيضاح صحيح الأخبار وسقيمها، لشمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبى، ت: أبو محمد أشرف بن عبد المقصود، ط: مكتبة أضواء السلف، الرياض ١٤١٦هـ- ١٩٩٥م.
٩٩- بيان تلبيس الجهمية فى تأسيس بدعهم الكلامية، لأحمد بن عبد الحليم بن تيمية، ت: محمد بن عبد الرحمن بن قاسم، ط : مطبعة الحكومة، مكة المكرمة ١٣٩٢هـ.
١٠٠- شرح كتاب: التوحيد فى صحيح البخارى للشيخ عبد الله بن محمد الغنيمان، ط: مكتبة الدار، المدينة المنورة، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ.
١٠١- مجموع الفتاوى، لتقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، ت: أنور الباز- عامر الجزار، ط: دار الوفاء، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.
١٠٢- متن القصيدة النونية، لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، ط: مكتبة ابن تيمية، القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٤١٧هـ.
١٠٣- السراج المنير، لمحمد بن أحمد الشربيني, شمس الدين، ط: دار الكتب العلمية، بيروت.
١٠٤- الفروق اللغوية، لأبى هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري، ت: محمد إبراهيم سليم، ط: دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر.
١٠٥- العقد الفريد، لأبي عمر، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد ربه، المعروف بابن عبد ربه الأندلسي، ط: دار الكتب العلمية- بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٤هـ.
١٠٦- شرح ديوان الحماسة (ديوان الحماسة: اختاره أبو تمام حبيب بن أوس)، ليحيى بن علي بن محمد الشيبانيّ التبريزي، أبو زكريا، ط: دار القلم، بيروت.

١٠٧- الأغاني، لأبي الفرج الأصفهاني، ت: سمير جابر، ط: دار الفكر – بيروت، الطبعة الثانية.
١٠٨- صبح الأعشى في صناعة الإنشا، لأحمد بن علي القلقشندي، ت: د. يوسف علي طويل، ط: دار الفكر، دمشق، الطبعة الأولى، ١٩٨٧م.
١٠٩- الذخائر والعبقريات- معجم ثقافي جامع، لعبد الرحمن بن عبد الرحمن بن سيد بن أحمد البرقوقي الأديب المصري، ط: مكتبة الثقافة الدينية، مصر.
١١٠- الكامل في اللغة والأدب، لمحمد بن يزيد المبرد، أبو العباس، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط: دار الفكر العربي- القاهرة، الطبعة: الطبعة الثالثة ١٤١٧هـ- ١٩٩٧م.
١١١- الشعر والشعراء، لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، ط: دار الحديث، القاهرة، عام النشر: ١٤٢٣هـ.
١١٢- مفتاح العلوم، ليوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي السكاكي الخوارزمي الحنفي أبو يعقوب، ت: نعيم زرزور، ط: دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، الطبعة: الثانية، ١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م.
١١٣- عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، لأحمد بن علي بن عبد الكافي، أبو حامد، بهاء الدين السبكي، ت: الدكتور عبد الحميد هنداوي، ط: المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣هـ- ٢٠٠٣م.
١١٤- جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، لأحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي، ت: د. يوسف الصميلي، ط: المكتبة العصرية، بيروت.
١١٥- دلائل الإعجاز، لأبي بكر عبدالقاهر بن عبدالرحمن بن محمد الجرجاني، ت: د/ محمد التنجي، ط: دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٥م.
١١٦- مختصر المعانى، لسعد الدين التفتازانى، ط: دار الفكر، الأولى ١٤١هـ.

١١٧- جمهرة الأمثال، للشيخ أبى هلال العسكرى، ٥، ط: دار الفكر، بيروت ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
١١٨- حَاشِيةُ الشِّهَابِ عَلَى تفْسيرِ البَيضَاوِي، الْمُسَمَّاة: عِنَايةُ القَاضِى وكِفَايةُ الرَّاضِى عَلَى تفْسيرِ البَيضَاوي، لشهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي المصري الحنفي، ط: دار صادر- بيروت.
١١٩- سبل الهدى والرشاد، في سيرة خير العباد، وذكر فضائله وأعلام نبوته وأفعاله وأحواله في المبدأ والمعاد، لمحمد بن يوسف الصالحي الشامي، محمد بن يوسف الصالحي الشامي، ت: الشيخ/ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، ط: دار الكتب العلمية بيروت- لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٤هـ- ١٩٩٣م.
١٢٠- عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ، لأبي العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي، ت: محمد باسل عيون السود، ط: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ- ١٩٩٦م.
١٢١- تفسير غريب ما فى الصحيحين البخارى ومسلم، لمحمد بن أبي نصر فتوح بن عبد الله بن فتوح بن حميد بن بن يصل الأزدي الحميدي، ت: د/ زبيدة محمد سعيد عبد العزيز، ط: مكتبة السنة، الطبعة: الأولى، القاهرة، مصر ١٤١٥هـ- ١٩٩٥م.
١٢٢- تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، لمحمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين الحسيني، ط: الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة النشر: ١٩٩٠م.
١٢٣- تفسير الشعراوي- الخواطر، لمحمد متولي الشعراوي، ط: مطابع أخبار اليوم.

١٢٤- الدين العالمي ومنهج الدعوة إليه، لفضيلة الشيخ/ عطية صقر، ط: مجمع البحوث الإسلامية، القاهرة، جمهورية مصر العربية، عام النشر: ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م.
١٢٥- موسوعة محاسن الإسلام ورد شبهات اللئام، لأحمد بن سليمان أيوب، ونخبة من الباحثين، فكرة وإشراف: د. سليمان الدريع، ط: دار إيلاف الدولية للنشر والتوزيع، الطبعة: الأولى، ١٤٣٦هـ- ٢٠١٥م.
١٢٦- اللباب في علوم الكتاب، لأبي حفص عمر بن علي ابن عادل الدمشقي الحنبلي، ط: دار الكتب العلمية، بيروت/ لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م.
١٢٧- الحيوان، لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، ت: عبد السلام محمد هارون، ط: دار الجيل، لبنان، بيروت ١٤١٦هـ- ١٩٩٦م.
١٢٨- التفسير القرآني للقرآن، لعبد الكريم يونس الخطيب، ط: دار الفكر العربي- القاهرة.
١٢٩- التفسير الحديث [مرتب حسب ترتيب النزول]، لمحمد عزت دروزة، ط: دار إحياء الكتب العربية- القاهرة، الطبعة: ١٣٨٣هـ.
١٣٠- صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، لمحمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي، ت: شعيب الأرنؤوط، ط: مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية ١٤١٤هـ- ١٩٩٣م.
١٣١- نصب الراية لأحاديث الهداية مع حاشيته بغية الألمعي في تخريج الزيلعي، لجمال الدين أبو محمد عبد الله بن يوسف بن محمد الزيلعي، ت: محمد عوامة، ط: مؤسسة الريان للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، دار القبلة للثقافة الإسلامية، جدة، السعودية، الطبعة: الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.

١٣٢- المنتقى شرح الموطإ، لأبي الوليد سليمان بن خلف بن سعد بن أيوب بن وارث التجيبي القرطبي الباجي الأندلسي، ط: مطبعة السعادة-، الطبعة: الأولى، ١٣٣٢هـ.
١٣٣- شَرْحُ صَحِيح مُسْلِمِ لِلقَاضِى عِيَاض المُسَمَّى إكمَالُ المُعْلِمِ بفَوَائِدِ مُسْلِمِ، لعياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي السبتي، أبو الفضل، ت الدكتور: يحْيَى إِسْمَاعِيل، ط: دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م.
١٣٤- شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك، لمحمد بن عبد الباقي بن يوسف الزرقاني المصري الأزهري، ت: طه عبد الرءوف سعد، ط: مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤هـ، ٢٠٠٣م.
١٣٥- نيل الأوطار، لمحمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني، ت: عصام الدين الصبابطي، ط: دار الحديث، مصر، الطبعة: الأولى، ١٤١٣هـ- ١٩٩٣م.
١٣٦- الفِقْهُ الإسلاميُّ وأدلَّتُهُ، أ.د وَهْبَة الزُّحَيْلِيّ، أستاذ ورئيس قسم الفقه الإسلاميّ وأصوله، بجامعة دمشق- كلّيَّة الشَّريعة، ط: دار الفكر- سوريَّة- دمشق.
١٣٧- بستان الأحبار مختصر نيل الأوطار، لفيصل بن عبد العزيز بن فيصل ابن حمد المبارك الحريملي النجدي، ط: دار إشبيليا للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م.
١٣٨- موسوعة علوم القرآن، لعبد القادر محمد منصور، ط: دار القلم العربى- حلب، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ- ٢٠٠٢م.
١٣٩- العميد في علم التجويد، لمحمود بن علي بسّة المصري، ت: محمد الصادق قمحاوى، ط: دار العقيدة- الإسكندرية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٥هـ- ٢٠٠٤م.
١٤٠- غاية المريد في علم التجويد، لعطية قابل نصر، ط: القاهرة، الطبعة: الطبعة السابعة.

١٤١- تفسير ابن باديس ((في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير))، لعبد الحميد محمد بن باديس الصنهاجي، ت: علق عليه وخرج آياته وأحاديثه: أحمد شمس الدين، ط: دار الكتب العلمية بيروت- لبنان.، الطبعة: الأولى، ١٤١٦هـ- ١٩٩٥م.

١٤٢- تفسير المراغي، لأحمد بن مصطفى المراغي، ط: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة: الأولى، ١٣٦٥هـ- ١٩٤٦م.

١٤٣- النظرات الماتعة في سورة الفاتحة، لمرزوق بن هيّاس آل مرزوق الزهراني، الأستاذ المشارك بكلية الحديث الشريف والدراسات الإسلامية بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، الطبعة: الثانية، ١٤٢٥هـ- ٢٠٠٥م.

١٤٤- القرآن ونقض مطاعن الرهبان، للدكتور/ صلاح عبد الفتاح الخالدي، ط: دار القلم- دمشق، الطبعة الأولى: ١٤٢٨هـ- ٢٠٠٧م.

١٤٥- فتح المنعم شرح صحيح مسلم، للأستاذ الدكتور موسى شاهين لاشين، ط: دار الشروق، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٢م.

ثانيا: ثبت الموضوعات

م	الموضوع	الصفحة
١	ملخص البحث	٢٥٨٥
٢	المقدمة	٢٥٨٨
٣	(التمهيد) أضواء على حياة الشيخ الباقورى	٢٥٩٥
٤	(التمهيد) أضواء على تفسير الشيخ الباقورى	٢٦٠٣
	الفصل الأول: موقف الشيخ الباقورى من التفسير بالمأثور	٢٦١٩
٦	الفصل الثاني: موقف الشيخ الباقورى من بعض قضايا علوم القرآن	٢٦٣٥
٧	الفصل الثالث: موقف الشيخ الباقوري من التفسير بالرأي	٢٦٩٩
٨	الخاتمة (تفسير الشيخ الباقوري في الميزان)	٢٧٢٢
٩	تفسير الشيخ الباقوري ما له	٢٧٢٣
١٩	المدرسة التفسيرية التي ينتمي إليها الشيخ الباقوري	٢٧٣٢
١١	التوصيات والمقترحات	٢٧٣٣
١٢	ثبت المصادر والمراجع	٢٧٣٧
١٣	ثبت الموضوعات	٢٧٥٤